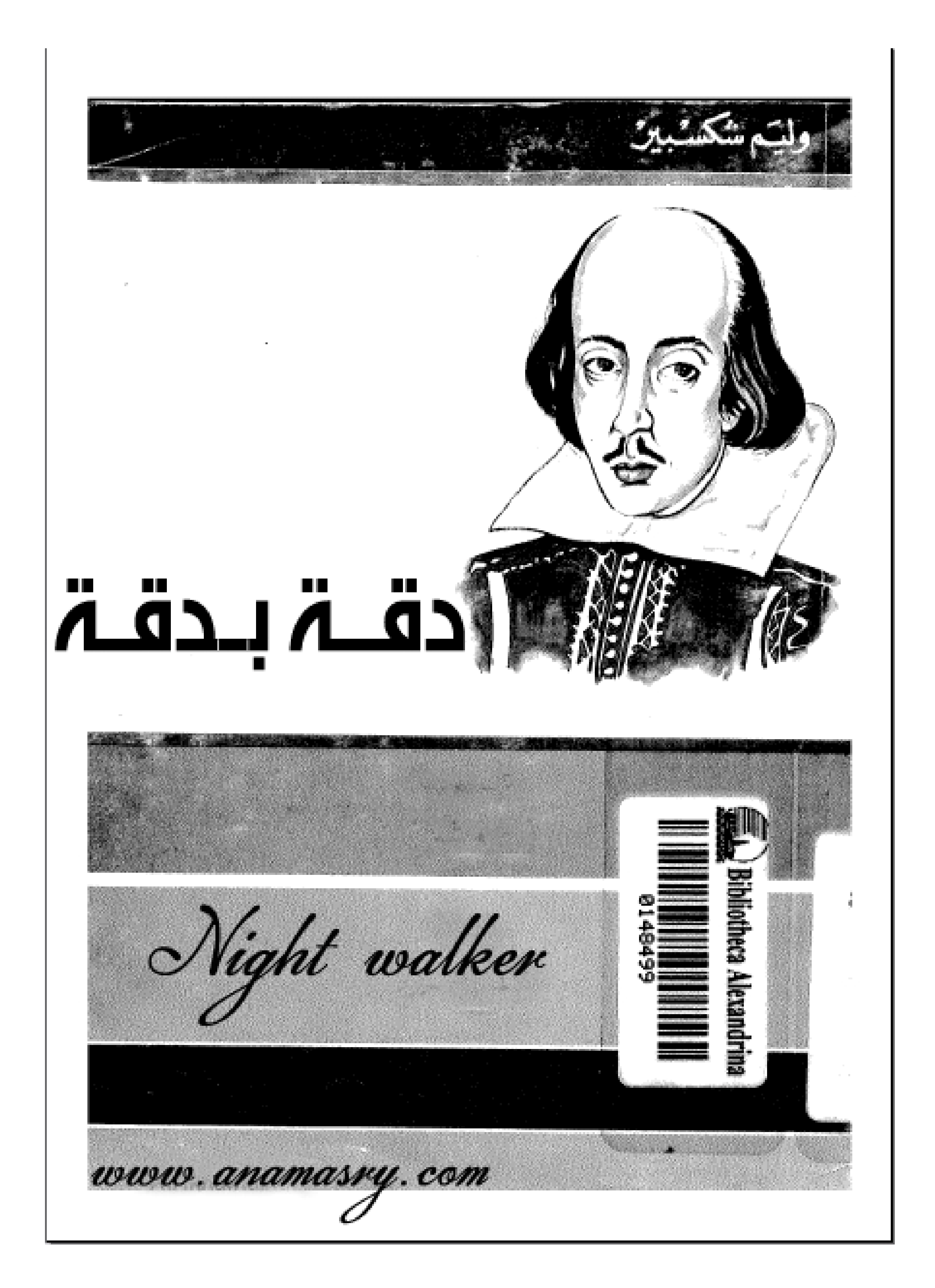
اعداد وكتابة وتنسيق : Night walker
E-Mail : mo_romance@hotmail.com

تم إنتاج هذا العمل حصريا لصالح منتديات أنا مصرى

لزيارة الموقع
www.anamasry.com

لزيارة المنتديات
www.anamasry.com/board

أرجو أن تستمتعوا بالعمل وأن ينال رضاكم
لا تنسونا من صالح دعائكم


وليم شكسبير
دقة بدقة
Night walker
Bibliotheca Alexandrina
0148499
www.anamasry.com

الشـخـصيــات

فينسنتيو : الدوق

انجيلو : نائب الدوق

اسكالوس : نبيل مسن

كلوديو : شاب

لوشيو : رجل عابث (غريب الأطوار)

سيدان : مثله

الحكمدار

توماس : راهب

بيتر : راهب

قاض

فاريوس

البو : كونستابل (شرطى) غبى

فروث : سيد مغفل

بومبى : (المهرج) خادم السيدة أوفردون

ابهورسون : جلاد

بارناردين : سجين منحل

ايزابيلا : اخت كلاوديو

ماريانا : مخطوبة لانجيلو

جولييت : حبيبة كلوديو

فرانشيسكا : راهبة

السيدة أوفردون : عاهرة (قوادة)

نبلاء وضباط ومواطنون وغلام واتباع

الفصل الأول

المشهد الأول

(تجرى احداث المسرحية فى فيينا)

(قاعة الحكم فى قصر الدوق فى فيينا . اسكالوس وبعض المستشارين يجلسون حول مائدة يتصدرها مقعد الدوق , حارسان مسلحان بالرماح فى مدخل القاعة) .

الدوق : اسكالوس .

اسكالوس : مولاى .

الدوق : لن أحاول أن أشرح لك أصول الحكم , والا كان ذلك ادعاء منى , فأنا أعرف أن علمك فى هذا الميدان يفوق حدود ما يمكن أن أنصحك به , ولهذا فليس عليك سوى أن تقرن كفايتك بمكانتك ولتبدأ فى العمل , فإننا لانذكر أن أحدا قد أفاد مثلك فنا وممارسة , خبرة بطبيعة شعبنا , أو بدستور مدينتنا , أو بمقتضيات العدالة العامة . وهاك تكليفنا الذى لن نسمح لك بالتنصل منه . وليدع الى هنا , ليذهب أحد ليطلب من انجيلو الحضور

(يخرج أحد الاتباع بعد ان ينحنى)

ما رأيكم فى ان ينوب عنا ؟ .. فقد اخترناه كما تعلمون كى يمثل شخصنا فى غيابنا وقد منحناه رهبتنا وخلعنا عليه حبنا وفوضناه كل صلاحيات سلطتنا , ما رأيكم فى هذا ؟

اسكالوس : إذا كان فى فيينا من يستحق عطفا عظيما كهذا وشرفا , فليس سوى اللورد انجيلو .

الدوق : ها هو ذا قد حضر .

(يدخل انجيلو ويركع أمام الدوق)

انجيلو : رهن ارادة جلالتكم دائما , لقد اتيت لاعرف مشيئة مولاى .

الدوق : (ينظر إليه بإمعان) انجيلو , ان من ينظر الى حياتك , ليحيط بتاريخك احاطة تامة : ان نفسك وما تملك ليست ملكا خالصا لك حتى تنفقها على فضائلك , بل هى عليك . فالسماء

تفعل معنا كما نفعل نحن بالمشاعل التى لا نوقدها لنفسها , فنحن إن لم تهدنا فضائلنا , كنا كمن بلا فضيلة : ولم تسو أرواحنا بدقة , الا من اجل الاغراض السامية , فالطبيعة لا تمنحنا خردلة من مزاياها الا كما تفعل آلهة حريصة , تعطى نفسها حق الدائن : الشكر والفائدة .. ولكنى فى الواقع أوجه الحديث لرجل يستطيع أن يعلمنى الحكم , هاك ياانجيلو (يقدم له وثيقة الانابة) كن شخصنا فى غيابنا : على لسانك وفى قلبك يتقرر الاعدام أو الرأفة .. ورغم استدعائنا لاسكالوس العجوز قبلك , فإنه مساعدك .. خذ وثيقتك .

انجيلو : ألا يمكن يا مولاى الكريم أن تستوثق من اختبار معدنى , قبل أن تطبع عليه صورة نبيلة وعظيمة كهذه .

الدوق : لا تحاول التنصل : لقد توخينا الامعان والتروى فى اختيارنا ، ولهذا فلتتقلد منصبك (ينهض انجيلو ويأخذ الوثيقة) إن رحيلنا يقتضى السرعة ، ولذلك فقد اسبقناه على مناقشة مسائل لها وزنها .. ولسوف نكتب لك ، بقد ما تسمح لنا شواغلنا ووقتنا ، عن أحوالنا ونترقب أخبار ما يحدث هنا .. وداعا ، إذن ، ولأتركك لتقوم بتنفيذ مضمون هذه الوثيقة بما نأمل .

انجيلو : ولكن اسمح لنا يا مولاى أن نصحبك جزءا من الطريق .

الدوق : هذا ما لن تسمح لى به عجلتى ، كذلك فإنى لا أرى داعيا لذلك ولا حاجة بك إلى الاحجام عن تنفيذ القوانين أو تعديلها حسب ما ترى بصيرتك ، فسلطتك هيا سلطتنا .. هات يدك ، فلسوف ارحل دون ضجة : إننى أحب الشعب ، ومع ذلك فإنى لا أحب أن أستعرض نفسى أمامه ، ولا استسيغ تصفيقه الصاخب وهتافاته المدوية ، رغم ما قد يكون فى ذلك خير ، ولا اعتقد أن من يتقبل ذلك رجل نافذ البصيرة .. مرة أخرى ، إلى اللقاء .

انجيلو : فلتبارك السماء مقاصدك .

اسكالوس : لك السعادة فى الرحيل والإياب .

الدوق : اشكركم .. إلى اللقاء .

(يخرج)

اسكالوس : (لانجيلو) أرجو يا سيدى أن تأذن لى فى التحدث معك قليلا ، فإننى أريد أن أتفهم وضعى ، فصحيح أننى قد منحت سلطة ، ولكنى لم أعرف بعد طبيعة هذه السلطة أو حدودها .

انجيلو : هكذا الحال معى أيضا .. فلنتشاور معا على انفراد ، لكى يهدأ بالنا بخصوص هذا الموضوع .

اسكالوس : أنا رهن اشارة سعادتك (يخرجان معا يتبعهما المستشارون) .



المشهد الثانى

(أحد شوارع فيينا – لوشيو وسيدان)

لوشيو : إذا لم يصل الدوق ، وباقى الدوقات إلى اتفاق مع ملك هنغاريا ، فلسوف ينقض كل الدوقات على الملك .

السيد (١) : فلتهبنا السماء من لدنها سلاما ، لا من عند ملك هنغاريا .

السيد (٢) : آمين .

لوشيو : إنك تختم دعاءك كما فعل ذلك القرصان مدعى التقوى الذى خرج إلى البحر بالوصايا العشر ، ولكنه كشط إحداها من اللوح .

السيد (٢) : " لا تسرق " ؟

لوشيو : أجل ، هذه شطبها .

السيد (١) : أليست وصية توصى القبطان ورفاقه ألا يؤدوا واجباتهم ! لقد وضعوا القوة للسرقة ، ليس هناك جنديا يستطيع – فى صلاة الطعام – أن يستسيغ دعاء السلام .

السيد (٢) : أنا لم أسمع قط جنديا يعترض على ذلك الدعاء .

لوشيو : صدقت ، فإنك لم تكن قط فى مكان تتلى فيه الصلاة .

السيد (٢) : كلا ؟ بل اثنتى عشرة مرة على الأقل .

السيد (١) : كم ؟ بالمتر ؟

لوشيو : بأى مقاس ، وبأى لغة .

السيد (١) : أو بأى دين ؟

لوشيو : وما المانع ؟ فالصلاة هى الصلاة رغم كل الاختلافات , فأنت نفسك مثلا ، نذل خبيث ، رغم كل الصلوات .

السيد (١) : على كل حال ، لقد قصصنا بمقص واحد (من نفس الثوب) .

لوشيو : بالضبط ، كما يفصل المقص ما بين القطيفة وحاشيتها .. وأنت حاشية القماش .

السيد (١) : أما أنت ، فالقطيفة ، أنت قطيفة من أجود الأنواع ، من أملس أنواع القطيفة ، كل هذا أوافقك عليه ، أما أنا فإنى أفضل أكون حاشية صوف انجليزى خشن ، على أن أكون فى مثل ملاستك التى تشبه القطيفة الفرنسية .. ترى هل أصيب فى حديثى الآن ؟

لوشيو : أعتقد أنك تفعل ، بل إنك تصيب نفسك بصورة مؤلمة بحديثك هذا ، حتى إنك – باعترافك أنت – تعلمنى أن أشرب فى صحتك ولكن أن أنسى ما حييت أن أشرب بعدك .

السيد (١) : يبدو أننى قد فضحت نفسى ، أليس كذلك ؟

السيد (٢) : بلى ، سواء كنت ملوثا أو معافى .

(ترى السيدة أوفردون ، القوادة ، قادمة)

لوشيو : انظرا ، انظرا ، إن مدام تلطيف قادمة ، لقد حصلت فى بيتها من الأمراض ما يصل إلى ...

السيد (٢) : إلى ماذا ؟

لوشيو : قدر أنت .

السيد (٢) : ثلاثة الاف دولار (مرض) فى السنة .

السيد (١) : بل أكثر .

لوشيو : أكثر بكراون فرنسى (مرض سرى) .

السيد (١) : إنك تتصورنى دائما مليئا بالامراض ، ولكنك مخطئ ، فأنا سليم .

لوشيو : أجل ، ولكنك لست معافى : أنت سليم مثل الأشياء الجوفاء ، وان عظامك لمجوفة ، لقد أتى الفسق عليك .

(تدخل السيدة أوفردون)

السيد (١) : (مخاطبا اياها) هيه ، كيف الحال ، أى من ردفيك يشكو أكثر من عرق النسا ؟

أوفردون : نعم ؟ نعم ؟ أما سمعت عن الرجل الذى قبض عليه وسجن ، رغم أنه يساوى خمسة الاف من أمثالك ؟

السيد (٢) : من ذلك الرجل ، لو سمحت ؟

أوفردون : إنه ، ويا للحسرة يا سيدى ، كلوديو ، السنيور كلوديو .

السيد (١) : كلوديو فى السجن ؟ غير معقول .

أوفردون : أجل ، ولكنى متأكدة ، فقد رأيتهم يقبضون عليه .. ثم رأيتهم يأخذونه إلى السجن .. والأدهى من ذلك ، أنهم سوف يجزرون رأسه فى ظرف ثلاثة أيام .

لوشيو : ولكنى ، بعد هذا الهراء ، لا أصدق حرفا مما قلته .. هل أنت متأكدة ؟

أوفردون : متأكدة جدا ، والسبب كما يقال ، هو أن مدام جولييتا قد حملت منه .

لوشيو : ربما كنت صادقة ، فقد واعدنى على اللقاء قبل ساعتين ، وقد كان دائما حريصا فى مواعيده

السيد (٢) : كذلك ، فإن لهذا علاقة بالموضوع الذى تحدثنا فيه .

السيد (١) : أهم من ذلك أنه يتفق مع البيان الذى أعلنوه .

لوشيو : فلنذهب ، لنتحرى الأمر .

(يسرع لوشيو والسيدان إلى الخارج)

أوفردون : هيه ! ماذا يتبقى لى بعد الحرب وطاعون العرق والمشنقة والفقر .. إننى أعانى أزمة فى الزبائن .

(بومبى يقترب)

هيه ، كيف الحال ؟ ما الأخبار ؟

بومبى : قبضوا على رجل .

أوفردون : اه .. وماذا فعل ؟

بومبى : امرأة .

أوفردون : ولكن ، ما التهمة ؟

بومبى : التنقيب عن السمك ، فى نهر خاص .

أوفردون : ماذا ، هل حملت منه بنية ؟

بومبى : كلا : بل امرأة حملت منه بنية ، ألم تسمعى بعد بالبيان الذى أعلنوه ؟

أوفردون : أى بيان يا رجل ؟

بومبى : تقرر إزالة " البيوت " فى ضواحى فيينا .

أوفردون : وماذا عن تلك التى فى المدينة ؟

بومبى : سوف يحتفظون بها كتقاوى " بذور " كانوا قد قرروا هدمها هى الاخرى ، ولكن نائبا حكيما تدخل من أجلها .

أوفردون : ولكن ، هل تهدم كل بيوت التسرية فى الضواحى ؟

بومبى : تسوى بالارض يا سيدتى .

أوفردون : لقد تغيرت أحوال الدولة فعلا .. ماذا يصير إليه حالى ؟ .. (تبكى)

بومبى : ولا يهمك ، لا تخشى شيئا , فلم يعد الناصحون زبائن بعد , وإذا كان لابد من تغيير المكان ، فلا داعى لغيير المهنة ، ولسوف أظل ساقيك .. تشجعى ، فسوف يرأفون بحالك فقد أجهدت عينيك حتى كادتا تستهلكان تماما فى الخدمة ، وسوف يأخذون هذا فى اعتبارهم قطعا .

أوفردون : ماذا نصنع هنا أيها الساقى توماس ، فلنذهب .

بومبى : ها قد أتى السنيور كلوديو وقد اقتاده الحكمدار إلى السجن ، وها هى مدام جولييت .

(يخرجان)

(يدخل الحكمدار وبعض الضباط يحرسون كلوديو وجولييت ، لوشيو والسيدان يتبعون)

كلوديو : لماذا تعرضنى هكذا على أنظار العالم ، يا صديقى ، ضمنى فى السجن حيث حكم على .

الحكمدار : أنا لا أفعل ذلك لغرض خبيث فى نفسى ، بل انفذ مشيئة اللورد انجيلو .

كلوديو : هكذا نصف الآلهة ، السلطة ، تجعلنا ننوء تحت ثمن أخطائنا ، وهكذا تفسر كلمات السماء : من شاءت تعاقبه ، عاقبته ، ومن لم تشأ لم تفعل ، ومع ذلك فهى عادلة .

(جولييت تبدأ فى التحرك فى حراسة أحد الضباط)

لوشيو : (يتقدم) .. من ؟ كلوديو ؟ لم هذا الحبس ؟

كلوديو : للإفراط فى الحرية ، يا لوشيو ، الحرية : فكما ان الافراط فى الطعام يؤدى الى الصيام ، كذلك الحرية إذا أفرط فى استخدامها تحولت إلى قيد : طبيعتنا تتصرف كمثل الفئران التى تجرع سمها فى شراهة شريرة – وعندما نشرب ، نموت .

لوشيو : لو كنت أقدر أن أتكلم بهذه الحكمة إذا قبض على ، لأرسلت فى طلب بعض الدائنين ، ومع ذلك والحق يقال ، فإننى أفضل غباء الحرية على ذكاء السجن ... ما خطيئتك يا كلوديو ؟

كلوديو : ما إذا تكلمت عنها لأخطأت ثانية .

لوشيو : وما هذه ، القتل ؟

كلوديو : كلا .

لوشيو : الفسق ؟

كلوديو : سمها كذلك .

الحكمدار : هيا يا حضرة ، تحرك .

كلوديو : كلمة واحدة ، أيها الصديق الطيب .. لوشيو ، كلمة معك .

(يتنحيان جانبا)

لوشيو : مائة ، إذا كانت تفيدك .. قل لى ، هل هم مهتمون بالفسق إلى هذا الحد ؟

كلوديو : هذه قصتى : لقد وصلت إلى فراش جولييت ، بعقد صحيح ، أنت تعرف جولييت ، أليس كذلك؟ زوجتى فعلا ، الا أننا لم نفعل ذلك الا للحصول على صداقها الذى لايزال فى حوزة بعض اصدقائها ، وقد قصدنا أن نخفى حبنا حتى نكسب صداقتهم مع مرور الزمن .. ولكن تصادف أن علاقتنا المتبادلة المختلسة ، تركت بصماتها الغليظة على جولييت .

لوشيو : حملت ؟

كلوديو : أجل ، لسوء الحظ ، ثم جاء النائب الذى يحكم فى غياب الدوق – ولا أدرى إن كان مرد ذلك إلى بريق الجدة الزائف أو كان مبعثه أن الحكم كالفرس يمتطيه الحاكم ، الذى لحداثة عهده بصهوته ، يريده أن يعرف أنه قادر على أن يحكمه ، ولذلك فهو يبدأ عهده معه باستخدام المهماز ، أو أن يكون مرجع الطغيان إلى المكانة العالية التى يحتلها ، فى الحق لا أدرى .. ولكن هذا الحاكم الجديد قد أيقظ لى كل العقوبات المدونة التى كانت كمثل الدروع الصدئة

معلقة على الحائط دهرا ، حتى إن تسعة عشر عاما قد مضت دون أن يلبسها أحد . جاء هذا الحاكم ومن أجل اعلاء اسمه هو ، طبق هذه المادة النائمة المهملة على أنا .. كل هذا بسبب اجراء اسمى ولا شك .

لوشيو : الحق فيما تقول ، إن رأسك يقف مرتعشا بين كفيك حتى أنه لو تنهدت أمام حلابة لبن عاشقة لسقط .. لماذا لا ترسل للدوق وتناشده أن يتدخل ؟

كلوديو : لقد فعلت ، ولكن أحدا لا يعرف أين هو .. أرجوك يا لوشيو ، قم بخدمة كريمة من أجلى ، اليوم تدخل أختى الدير حيث تصير راهبة .. أخبرها بخطورة موقفى وتوسل إليها عنى أن تتقرب إلى ذلك النائب المتزمت وأن تجرب معه ، إننى أعقد على ذلك أملا كبيرا ، فلها فى شبابها لغة صامتة معبرة تشفع عند الرجال ، كما أنها تجيد فن التحدث ولباقة الاقناع .

لوشيو : أدعو الله أن تنجح فى ذلك ، حتى تفتح الباب أمام من هم فى نفس الموقف ، والذين سوف يتعرضون لخطر جسيم إن لم تفعل ، وأهم من ذلك حتى تتمتع بحياتك التى يحزننا ولا شك أن تخسرها هكذا فى لعبة تيك – تاك .. لسوف اذهب إليها .

كلوديو : أشكرك يا لوشيو يا صديقى العزيز .

لوشيو : فى ظرف ساعتين .

كلوديو : هيا ، يا حضرة الضابط ، لنذهب .

(يخرجان)

المشهد الثالث

(صومعة أحد الرهبان : الدوق والراهب توماس)

الدوق : كلا ، يا صاحب القداسة ؟ اصرف النظر عن هذه الفكرة ، ولا تصدق أن سهم الحب المرتعش يمكن أن يخترق صدرا مدرعا : اننى حين أطلب منك أن تخفينى فى مأوى أمين ، فإن لى مقصدا أبعد فى جديته ورزانته عن رغبات الشباب الملتهبة .

الراهب : هل لجلالتك أن تحدثنى عن ذلك ؟

الدوق : لا أحد يعرف أفضل من نيافتك كيف أنى كنت دائما أحب الحياة العزوف ، وأننى لا أقيم وزنا للمجالس التى تجمع الشباب والجدة فى ملاه طائشات ... لقد سلمت اللورد انجيلو ، وهو رجل مستقيم راغب عن الملذات ، سلمته سلطتى كاملة ومكانتى فى فيينا هنا ، بينما يحسب هو أننى قد سافرت إلى بولندة ، فهكذا رددت فى اذان الجميع ، وهكذا صدقوا ... والآن ، ياصاحب التقى ، سوف تسألنى لماذا فعلت ذلك ؟

الراهب : بكل سرور يا مولاى .

الدوق : إن لدينا تشريعات حازمة وقوانين رادعة ، لكبح جماح الارادات الناشزات . وقد تركنا هذه القوانين وتلك التشريعات تنام طوال السنين الاربع عشرة الماضية ، كمثل سبع مسن فى كهف لايخرج لاقتناص الضحايا ... وكنا فى ذلك مثل الآباء المحبين لأبنائهم ، حين يصفون فروع المقرعة لكى نكون دوما أمام نواظر أبنائهم ، لتخويفهم لا لاستخدامها ، بحيث تتحول العصا بمرور الزمن من مقرعة الى مضحكة ، كذلك كانت قوانيننا حين توقف تنفيذها ، فماتت ، بحيث وجدنا انحلال الخلق ، يقود العدالة من أنفها ، وحتى وجدنا الطفل الرضيع ، يعاقب ضربا مربيته ، وفسدت تماما جميع أصول اللياقة .

الراهب : كان بوسعك ياذا الجلالة فك العدالة من أسرها ، حين تريد ، وقد كانت لترهب عندئذ ، أكثر مما تفعل حين يقوم اللورد انجيلو بذلك .

الدوق : أخشى أن أقول إنها كانت لترهب أكثر مما يجب ، فقد كانت غلطتى أن أطلق العنان لشعبى ، وإذن فإن من الطغيان والظلم أن أضربهم وأكدر حياتهم على ما دعوت لفعله ، فنحن قد دعوناهم لفعل ما يفعلون ، حين رخصنا بالجرائم بدلا من ردعها بالعقاب ... ولذلك يا أبت فقد كلفنا بالمهمة انجيلو ، الذى يستطيع ، متسترا وراء اسمى أن يضرب حيث ينبغى الضرب ، وفى نفس الوقت ، فلن يظهر شخصى ليشى بى ... وحتى أشهد أثر ذلك ، فلسوف أزور

الشعب والامير متخفيا فى زى راهب من ديركم ، وأرجو لهذا أن تعطينى مسوحا وأن تعلمنى كيف أتصرف فى الظاهر كراهب حقيقى ... وعندما يسمح وقتى بذلك ، فسوف أوضح لك أسبابى الأخرى التى دفعتنى لهذا الطريق ، ومن أهم هذه الأسباب أن اللورد انجيلو رجل مدقق حذر فى رغباته ، لا يعترف بسريان الدم فى العروق ، أو بأن شهيته للخبز أكثر منها للحجارة ومن هنا فإنا سوف نرى إذا كانت السلطة تغير المقاصد والنفوس ، وسوف نتحقق مما يبطنه الظاهر .

(يخرجان)



المشهد الرابع

(الفناء الخارجى لأحد أديرة الراهبات : إيزابيلا وفرانشيسكا الراهبة)

ايزابيلا : أليست لديكن معشر الراهبات مزايا أخرى ؟

الراهبة : أو لا تكفى تلك ؟

ايزابيلا : بلى ، بالحق ، ولكنى حين أقول ذلك لا أرغب فى المزيد ، بل أود لو كانت القيود أشد على الأخوات ، نذيرات سانت كلير .

(طرقات على البوابة)

(صوت من الخارج : " السلام على هذا المكان :)

ايزابيلا : من ذا ينادى ؟

الراهبة : إنه صوت رجل ؟ أديرى أنت المفتاح أيتها الرقيقة ايزابيلا ، واعرفى مطلوبه ، فبينما يمكنك أنت هذا لا يمكننى أنا ، فأنت لم تحلفى اليمين بعد : وعندما تفعلين فلا ينبغى عليك التحدث مع الرجال إلا فى حضور الرئيسة ، وعندئذ إذا تحدثت ، يجب ألا تكشفى وجهك ، وإذا كشفت وجهك يجب ألا تتحدثى .. إنه ينادى مرة أخرى ، ردى عليه إذا سمحت .

(الراهبة تدخل إلى الدير)

ايزابيلا : (تفتح الباب الخلفى الصغير) السلام والبركة ، من ذا ينادى ؟

(يدخل لوشيو)

لوشيو : تحياتى أيتها العذراء ، إن كنت كذلك ، كما تشهد خدودك الوردية ... هلا ساعدتنى فى الوصول إلى حيث أجد ايزابيلا ، المستجدة فى هذا المكان ، والشقيقة الحسناء لكلوديو التعس

ايزابيلا : لماذا " لكلوديو التعس " ؟ إذا سمحت لى أن أسأل فإنى ، كما يجب أن أعرفك بنفسى أنا ايزابيلا ، شقيقته .

لوشيو : أيتها الرقيقة الجميلة ... (ينحنى) إن اخاك يحييك ، ولكيلا أثقل عليك ، إنه فى السجن .

ايزابيلا : بالشقائى ، لماذا ؟

لوشيو : لسبب ، لو كنت أنا القاضى ، لجعلت عقابه الشكر : لقد حملت منه صديقته .

ايزابيللا : سيدى ، أرجو ألا تجعلنى اضحوكتك .

لوشيو : هذا ما حدث حقا ، ورغم أن خطيئتى المألوفة مع الفتيات أن أبدو كأبى طيط ، وأن أمزح بلسان بعيد عن قلبى ، فإنى لا أفعل ذلك مع كل العذارى ، وأنا أعتبرك شيئا قدسيا سماويا ، ينبذك هكذا للعالم ، روحا خالدة ، يجب ان احادثها بإخلاص كما يجدر أن أفعل مع القديسين .

ايزابيللا : إنك تسب الخيرين حين تهزأ منى هكذا .

لوشيو : لا تصدقى ذلك .. باختصار وبصدق ، هذا ما حدث ، ان اخاك وحبيبته قد تعانقا ، وكما أن من يأكل يمتلئ ... وكما فى موسم الحصاد ، حين تتحول الأرض الجرداء بعد بذرها إلى وفرة النماء ، كذلك يشهد بطنها الممتلئ بجهده فى الحرث والزراعة .

ايزابيللا : فتاة حملت منه ، هل تكون جولييت ، بنت العم ؟

لوشيو : أهى بنت عمك ؟

ايزابيللا : بالتبنى ، كما تفعل التلميذات حين تغيرن اسماءهن عن عاطفة صبيانية ولكن مخلصة .

لوشيو : إنها هى .

ايزابيللا : فليتزوجها .

لوشيو : هذه هى المشكلة ، لقد سافر الدوق فى ظروف غريبة جدا ، وخدع كثيرا من السادة ، أملا وفعلا ، ومنهم أنا نفسى ، ولكننا علمنا ممن يحيطون بأسرار الدولة أن ما أعلنه بعيد كل البعد عن خطته الحقيقية .. وفى مكانه وبكل سلطاته ، يحكم اللورد انجيلو ، وهو رجل دماؤه مثل زبد الثلج ، لا يحس أبدا بوخزات الحس الحقيقية أو حركته ، بل يبلد ويجمد طبيعته بالعقل والدراسة والصيام ، وهو ، لكى يخيف الاستمتاع والحرية كما تخيف السباع الفئران ، قد التقط مادة من القانون تقع تحت طائلتها الثقيلة حياة أخيك وتهدر ، وقد قبض عليه بمقتضاها واتبع حرفية القانون لكى يجعل منه مثلا .. والآن قد ضاع كل أمل ، إلا إذا أنت صادفك التوفيق واستطعت بصلواتك وتوسلاتك العذبة ان تستعطفى انجيلو .. هذا هو مقصدى الأساسى حين جئت إليك من عند أخيك الشقى .

ايزابيللا : هل يطلب موته بهذا الشكل ؟

لوشيو : لقد حكم عليه فعلا ، وكما سمعت ، فإن مع الحكمدار أمرا باعدامه .

ايزابيللا : يا للمصيبة ، وماذا أستطيع أن أفعل أنا من أجله ؟

لوشيو : جربى ما لديك من قوة .

ايزابيللا : قوتى ، يا لشقائى ، إننى أشك ..

لوشيو : الشك خائن يجعلنا نخسر الخير الذى قد نكسبه حين نخاف أن نجرب ... اذهبى الى اللورد انجيلو ، وعلميه كيف أنه عندما تطالب الفتيات بشئ ، فإن الرجال يمنحون كمثل الآلهة ، أما إذا بكين وركعن ، فإن كل طلباتهن تجاب فورا .

ايزابيللا : سأرى ما يمكننى أن أفعله .

لوشيو : ولكن أسرعى .

ايزابيللا : سوف أبدأ من فورى ، ولن أبقى هنا إلا ريثما أخبر الرئيسة بشأنى .. شكرا لك . طمئن أخى ، وفى المساء سوف أرسل له رسالة أكيدة عن نجاحى .

لوشيو : أتأذنين لى أن أنصرف ؟

(ينحنى)

ايزابيللا : (تفتح له الباب) صحبتك السلامة ، يا سيدى الطيب .

(يخرج ، تغلق الباب ثم تدخل إلى الدير)

الفصل الثانى

المشهد الأول

(قاعة المحكمة : انجيلو واسكالوس وقاض ، جالسين – الحكمدار وضابط واتباع ، واقفين)

انجيلو : إن القانون يجب ألا يتحول إلى خيال مآته ، منصوبا لكى يفزع الطيور الجارحة ، فإنه إذا استقر على شكل واحد جامد ، حوله التعود من مصدر لفزعها إلى عش تعيش فيه آمنه .

اسكالوس : أجل ، فلنكن حادين ، ولنجرح قليلا ، لا أن نضرب حتى الموت ، إن هذا الشاب الذى أرى الإبقاء على حياته ، ويا للحسرة ، كان أبوه غاية فى النبل ، ولنفكر فى هذا يا صاحب السعادة أنت يا من لايشك فى حرصك التام على الفضيلة ، لو أتيح لرغباتك اقتران الزمان بالمكان أو المكان بالرغبة ، أو لو أن إلحاح الدماء فى عروقك حقق غرضا من أغراضك أنت ، أو لم تكن يوما لتركب هذا الذى تحكم عليه من أجله ، بما يستوجب إقامة الحد عليك ؟ !

انجيلو : أن يتعرض المرء للاغراء شئ يا اسكالوس وأن يسقط شئ آخر .. أنا لا أنكر أن المحلفين الاثنى عشر الذين يصدرون الحكم على حياة سجين ، قد يكون من بينهم لص أو لصان أكثر إجراما من ذلك الذى يحاكمونه .. إن العدالة لا تقيم الحد إلا على ما يفتضح ، وكيف يمكن للقانون أن يدخل فى حسبانه أن اللصوص يحاكمون اللصوص ؟ أو ليس من البديهى أن الجوهرة التى نعثر عليها ننحنى ونلتقطها ، لأننا نراها ، أما تلك التى لا نراها ، فإننا ندوس عليها بأقدامنا ولا نفكر فيها .. إنك لا ينبغى أن تلتمس العذر لجريمته ، بأن لدى مثلها ، الأخلق بك أن تقول إننى ، أنا الذى أصدرت الحكم ، حين أرتكب جريمة مثلها ، على أن أجعل ذلك الحكم الذى أصدرته يقرر إعدامى ولا يسمح بالمحاباة .. لابد أن يموت ، ياسيدى .

اسكالوس : فليكن كما تشاء حكمتك .

انجيلو : أين الحكمدار ؟

الحكمدار : (يتقدم) تحت أمر مولاى .

انجيلو : فليعدم كلوديو فى التاسعة من صباح الغد ، عليك تنفيذ ذلك ، أحضر له قسا يعترف أمامه وليستعد ، فقد بلغت رحلته منتهاها .

(الحكمدار يخرج)

اسكالوس : هيه ... فليغفر له الله وليغفر لنا جميعا .. من الناس من ترفعه الخطايا ومنهم من بالفضيلة يسقط ، ومنهم من ينجو من أدغال الرذيلة فلا يحاسب ، ومنهم من على هفوة واحدة يموت .

(يدخل البو وبعض الضباط ومعهم بومبى وفروث مقبوضا عليهما)

البو : هيا ، جرجروهما ، فلو كانا مواطنين صالحين فى هذا المجتمع ، بينما لا يفعلان شيئا سوى اتيان المعاصى فى المواخير ، فلست أعرف القانون ، هيا أحضروهما .

انجيلو : ما الحكاية ، يا سيد ؟ ما اسمك وماذا حدث ؟

البو : (ينحنى) بعد إذن سعادتك يا صاحب السعادة ، أنا شرطى الدوق المسكين ، اسمى البو ، وقد استندت إلى العدالة ، ولذلك فإننى أحضر هنا أمام سعادتك اثنين من أولاد الحلال المشهورين

انجيلو : أولاد الحلال ؟ عجبا ، أى أولاد حلال هما ؟ أم أنهما من أولاد الحرام ؟

البو : بعد إذن سعادتك يا صاحب السعادة ، أنا لا أعرف ما هما بالضبط ولكنهما وغدان متزمتان ، هذا ما أعرفه تماما ، كما أنهما عاطلان عن أى دنس يليق بالمسيحيين الطيبين .

اسكالوس : أحسنت القول ! أليس ضابطا عاقلا ؟

انجيلو : ما علينا ، من أى صنف هما ؟ اسمك هو البو ، هه ؟ لماذا لا تتكلم يا البو ؟

بومبى : إنه لا يستطيع ياسيدى ، لأن ثيابه قد "قلبوا " .

انجيلو : من تكون ، يا سيد ؟

البو : هو ، يا سيدى ؟ إنه ساق يا سيدى ، قواد بالقطعة يا سيدى ، يعمل فى خدمة امرأة سيئة السلوك يا سيدى ، وبيتها الذى فى الضواحى ، يا سيدى ، كما يقولون ، قد هدم ، أما الآن فهى تدير حماما عموميا ، يا سيدى ، واعتقد أنه أيضا محل سيئ ياسيدى .

اسكالوس : وكيف عرفت ذلك ؟

البو : زوجتى يا سيدى ، التى أمقتها أمام الله وأمام سعادتك .

اسكالوس : زوجتك ! كيف ؟

البو : أجل يا سيدى ، زوجتى ، وهى والحمد لله ، امرأة شريفة ...

اسكالوس : ولهذا فأنت تمقتها ؟

البو : أقصد ياسيدى ، أننى سوف أمقت نفسى أيضا ، كما أمقتها ، ان هذا المحل إذا لم يكن ماخورا فياللحسرة عليها لأنه محل فسق .

اسكالوس : كيف عرفت ذلك ، أيها الشرطى ؟

البو : كيف ياسيدى ، عن طريق زوجتى ، التى لو كانت ذات ميول حسية ، لاتهمت بالزنا والفسق وكل أنواع النجاسة هناك .

اسكالوس : عن طريق المرأة ؟

البو : أجل يا سيدى ، عن طريق السيدة أوفردون ، ولكنها عندما بصقت فى وجهه ، فقد تحدته .

بومبى : سيدى ، هذه ليست الحقيقة .

البو : فلتثبت ذلك أمام هؤلاء الأنذال ، أيها الرجل الشريف ... أثبته .

اسكالوس : (لانجيلو) أرأيت كيف يسئ التعبير ؟

بومبى : لقد جاءت ياسيدى ، وهى حامل ، وكانت تشتهى – ولا مؤاخذة يا صاحب السعادة ، قراصيا مطهوة يا سيدى ، ولم يكن لدينا سوى اثنتين فى المحل ، وكانتا فى ذلك الزمن الغابر ، موضوعتين فى طبق للفاكهة ، وهو طبق يساوى ثلاثة قروش على الأقل ، ولابد أن جنابكم قد رأيتم مثل هذه الأطباق ، التى قد لا تكون من الصينى ولكنها أطباق عظيمة جدا .

اسكالوس : ما علينا ، ما علينا ، لا تهتم بموضوع الطبق يا سيد .

بومبى : كلا يا سيدى ، كلا ، انه موضوع تافه لا يساوى دبوسا ، وأنت فيه بالحق ، فلندخل فى لب الموضوع يا سيدى .. كما قلت يا سيدى ، ان هذه السيدة ، حرم السيد البو ، بكونها حاملا ، كما قلت ، وحيث انها كانت تشتهى القراصيا ، كما قلت ، ولما لم يكن بالمحل ، كما قلت ، سوى اثنتين فى الطبق ، لأن السيد فروث ، هذا السيد ، كان قد أكل الباقى ، كما أقول ، وكان قد دفع ثمنها ، كما أقول ، بكل أمانة ، فإننى كما تعرف يا سيد فروث ، لا أستطيع أن أعيد إليك القروش الثلاثة ...

فروث : فعلا ، لا يمكن .

بومبى : عظيم جدا ، ثم اننى قلت لك ، إذا كنت تذكر ، ان فلانا وفلانا لا يمكن أن يشفيا من العلة التى تعرفها ، إذا لم يتبعا نظاما قاسيا فى طعامهما ، كما قلت لك ...

فروث : كل هذا قد حدث حقا ..

بومبى : عظيم جدا ، ثم اننى ...

اسكالوس : لا ، اسمع ، انت مغفل ممل ، فلندخل فى الموضوع ، ماذا فعلتم بزوجة البو ، حتى يشكو ؟ أوصلنى إلى حيث فعل بها ...

بومبى : سيدى ، إنك يا صاحب السعادة لا تستطيع أن تصل إلى هناك الآن .

اسكالوس : لا ، ياسيدى ، ولا أظننى أقصد ذلك .

بومبى : ولكنك سوف تصل يا سيدى ، بعد إذن سعادتك .. وأنى لأضرع إليك ، إنظر إلى السيد فروث هذا ، ان دخله يا سيدى ، يصل إلى ثمانين جنيها فى السنة ، وقد مات أبوه فى عيد جميع القديسين ... ألم يكن فى عيد جميع القديسين ، يا سيد فروث ؟

فروث : بل ليلة عيد كل القديسين .

بومبى : عظيم ، أرجو أن تكون الحقيقة قد اتضحت .. إنه يا سيدى ، كان يجلس ، كما قلت ، فى مقعد واطئ يا سيدى ، كان ذلك فى " عنقود العنب " حيث يطيب لك أن تجلس ، أليس كذلك ؟

فروث : أجل ، يطيب لى ذلك ، لأنها حجرة مفتوحة ، عظيمة فى الشتاء .

بومبى : عظيم جدا ، إذن ، أرجو أن تكون الحقيقة قد اتضحت .

انجيلو : (ينهض) سوف يستغرق هذا ليلة فى روسيا ، حيث تطول الليالى ، سوف استأذن واترككم لسماع هذه القضية وأرجو أن تجدوا فيها ما يستوجب جلدهم جميعا ..

اسكالوس : أظن ذلك ، طاب نهارك يا صاحب السعادة .

(يخرج انجيلو)

والان يا سيد ، ماذا فعلتم فى زوجة البو مرة أخرى ؟

بومبى : مرة يا سيدى ؟ لم يفعل بها شئ مرة .

البو : أرجوك يا سيدى ، اسأله ماذا فعل هذا الرجل فى زوجتى .

بومبى : أرجوك يا سيدى ، اسألنى .

اسكالوس : طيب ، يا سيد ، ماذا فعل بها هذا الرجل ؟

بومبى : أرجوك ياسيدى ، انظر فى وجه هذا السيد .. يا سيد فروث انظر الى سعادته ، لا تخف فسوف يفيدك هذا .. هل ترى وجهه يا صاحب السعادة ؟

اسكالوس : أجل ، ياسيد ، أراه جيدا .

بومبى : أرجوك يا سيدى ، انظر جيدا .

اسكالوس : ها أنا أنظر .

بومبى : هل ترى فى وجهه أى ضرر يا صاحب السعادة ؟

اسكالوس : كلا .

بومبى : أنا مستعد أحلف أن وجهه هو أسوأ ما فيه .. طيب ، إذا كان وجهه هو أسوأ ما فيه ، فكيف يمكن للسيد فروث أن يأتى السيدة زوجة الشرطى ، أى ضرر ؟ أريد أن أعرف ذلك من سعادتك .

اسكالوس : إنه على حق ، أيها الشرطى ، ماذا تقول فى ذلك ؟

البو : أولا ، بعد إذن سعادتك ، إن ذلك البيت ذو سمعة ، ثانيا أن هذا الرجل ذو سمعة ، وأن سيدته امرأة ذات سمعة .

بومبى : ويدى هذه يا سيدى ، ان لزوجته سمعة تفوق كل مالنا من سمعة .

البو : أيها النذل ، إنك كاذب ، كاذب ، أيها النذل الشرير ، لم يأت بعد الوقت حتى يكون لها سمعة مع اى رجل أو امرأة أو طفل .

بومبى : سيدى ، لقد كان لها سمعة معه قبل أن يتزوجها .

اسكالوس : أيهما أعقل الآن ، العدالة أم الظلم ؟ هيه ، هل هذا صحيح ؟

البو : اه ياوغد ، اه يا نذل ، اه يا متوحش يا شرير .. أنا كان لى سمعة معها قبل أن أتزوجها ؟ أنا ؟ لو حدث قط وكان لى سمعة معها أو كان لها سمعة معى ، فلا تعتقد سعادتك أننى شرطى الدوق المسكين .. اثبت ذلك أيها الوحش الشرير وإلا سوف يكون لى معك قضية اعتداء بالضرب .

اسكالوس : وإذا أخذك صفعة على وجهك ، يمكنك أيضا ان يكون لك معه قضية افتراء .

البو : الله . اشكر سعادتك على هذا ، والآن ماذا تشير على أن أفعل بهذا الوغد الشرير ، يا صاحب السعادة ؟

اسكالوس : الحق ، أيها الضابط ، بما أن لديه من الجرائم ما يمكنك أن تكتشفها او استطعت ، اجعله

يستمر فى أفعاله حتى تستطيع أن تضبط هذه الأفعال .

البو : يحيا العدل ، اشكر سعادتك على هذا ، أرأيت أيها النذل الشرير ما حاق بك ، عليك أن تستمر أيها النذل ، عليك أن تستمر .

اسكالوس : أين ولدت يا صديقى ؟

فروث : هنا فى فيينا ، يا سيدى .

اسكالوس : هل دخلك ثمانون جنيها فى السنة ؟

فروث : أجل يا سيدى ، ولا مؤاخذة .

اسكالوس : والآن ... (لبومبى) ما حرفتك ، يا سيد ؟

بومبى : أنا ساق – ساق عند أرملة مسكينة .

اسكالوس : وما اسم سيدتك ؟

بومبى : السيدة أوفردون .

اسكالوس : هل تزوجت أكثر من مرة ؟

بومبى : تسعة ، يا سيدى ، كان اخرهم (أوفردون) مفرطا .

اسكالوس : تسعة ! تعال هنا يا سيد فروث ... يا سيد فروث ، لا أريدك أن تخالط السقاة ، فسوف يجذبونك من رقبتك يا سيد فروث وسوف تتسبب فى شنقهم .. امض الآن ولا أريد أن أسمع عنك مرة أخرى .

فروث : أشكر سعادتك .. أما عن نفسى فإننى لا أدخل أية غرفة فى أية حانة ، ولكننى أشد اليها خدعة

اسكالوس : طيب ، كف عن ذلك يا سيد فروث . مع السلامة ...

(يخرج فروث)

والآن تعال هنا يا سيد ساق ، ماسمك ، ياسيد ساق ؟

بومبى : بومبى .

اسكالوس : وماذا أيضا ؟

بومبى : بم (ردف) ياسيدى .

اسكالوس : فعلا ، وان ردفك لهو أعظم ما لديك ولذلك فإنك بأحقر ما يعنى ذلك ، بومبى العظيم .. بومبى أنت قواد بالقطعة ، مهما حاولت التستر وراء مهنتك كساق ، أليس كذلك ؟ هيه ، اصدقنى القول ، وسترى أن ذلك يفيدك .

بومبى : الحق يا سيدى ، أنا رجل فقير أريد أن أعيش .

اسكالوس : تعيش كيف ؟ بأن تكون قوادا ؟ ما رأيك فى المهنة يا بومبى ؟ هل هى مهنة مشروعة ؟

بومبى : إذا كان الشرع يبيحها يا سيدى .

اسكالوس : ولكن الشرع لا يبيحها يا بومبى ، ولن تباح أبدا فى فيينا .

بومبى : هل سعادتك تقصد انكم سوف تخصون كل شبان المدينة ؟

اسكالوس : كلا ، يا بومبى .

بومبى : فى الحق يا سيدى ، وفى رأيى المتواضع ، فسوف لا ينقطعون عنها .. وإذا أخذتم العاهرات واللئام بالشدة ، فلا خوف من القوادين .

اسكالوس : لقد بدأنا نأخذهم بأقسى شدة ، ذبح وشنق على الأقل .

بومبى : إنكم إذا ذبحتم وشنقتم كل من يرتكب هذه الجريمة لمدة عشر سنوات كاملة فقط ، فسوف تعلنون عن دفع عمولة على كل رأس جديد . وإذا طبق هذا القانون فى فيينا لمدة عشر سنوات لاستطعت حينئذ أن أسكن أحسن منزل فى المدينة مقابل ثلاثة قروش ، فإذا عشت حتى يتحقق ذلك ، فقل بومبى قال لى .

اسكالوس : شكرا يا بومبى الطيب ، وجزاء لك على نبوءتك ، اسمع ما سوف أقوله لك ، أنصحك ألا تدعنى أراك هنا أمامى لأية تهمة مهما كانت ، وعلى الأخص ، الاستمرار فى السكنى حيث أنت ، فإذا رأيتك يا بومبى ، فسوف أشيعك إلى خيمتك ضربا وأثبت لك أننى قيصر قاس ، وحتى تفهم ما أقول يا بومبى ، بوضوح سوف أجلدك ، أما عن هذه المرأة ، فمع السلامة .

بومبى : أشكر جنابك على نصيحتك الطيبة (جانبا) ولكنى سوف أستمر حسبما يملى على جسدى وحظى ، يجلدوننى ، لا ، لا ، فليضرب الحوذى حصانه الأعجف ، أما القلب المتين الباسل ، فلا يثنيه عن مهنته جلد أو ضرب .

اسكالوس : تعال هنا ، يا سيد البو ، تعال هنا أيها الشرطى .. كم قضيت فى وظيفتك ؟

البو : سبع سنوات ونصف يا سيدى .

اسكالوس : لقد ظننت من فرط إتقانك لعملك ، أنك قضيت به وقتا طويلا .. تقول سبع سنوات ، متصلة ؟

البو : ونصف يا سيدى .

اسكالوس : يا للخسارة ، لقد كانت مرهقة ، أليس كذلك ، إنهم يظلمونك حين يجعلونك تقوم بالعمل هكذا كثيرا .. أليس فى قسمكم ما يكفى من الرجال للقيام بالعمل ؟

البو : للحقيقة يا سيدى ، أن قليلا جدا منهم من يفهم فى مثل هذه المسائل ، إذا وقع الاختيار عليهم فإنه يسعدهم أن يكلفونى بالقيام بالمهمة مقابل بعض النقود ، فأتكفل بكل شئ وحدى .

اسكالوس : فلتحضر لى أسماء ستة أو سبعة من أكفأ الرجال فى منطقتك .

البو : إلى منزل جنابك ، يا سيدى ؟

اسكالوس : إلى منزلى ، مع السلامة

(يخرج البو)

كم الساعة الآن ، ياترى ؟

القاضى : الحادية عشرة .

اسكالوس : هلا أتيت للغداء معى فى المنزل ؟

القاضى : أشكر فضلك .

اسكالوس : يحزننى أن يموت كلوديو ، ولكن ليس هناك مفر .

القاضى : إن اللورد انجيلو رجل قاس .

اسكالوس : بالضرورة ، فليست الرحمة رحمة ، إذا بدت كذلك كثيرا ، كما أن العفو يجلب الجرم ثانية .. ومع ذلك ، أسفى على كلوديو المسكين ، لامفر .. هيا يا سيدى .

(يخرجان ويتبعهما الأتباع ... إلخ)

المشهد الثانى

(يدخل الحكمدار مع خادم يرشده إلى الطريق)

الخادم : إنه ينظر قضية ، وسوف يأتى حالا ، سأخبره انك تنتظر .

(يتحرك خارجا)

الحكمدار : ارجو أن تفعل ، فأنا أريد أن أعرف مشيئته ، فلربما رق قلبه ... إن هذا الشاب كمن أذنب فى أحد أحلامه ، وبينما تزخر كل الطوائف وكل العصور بهذه الخطيئة ، يموت هو بسببها ..

(يدخل انجيلو)

انجيلو : ماذا جرى أيها الحكمدار ؟

الحكمدار : أهى مشيئتك أن يموت كلوديو فى صباح الغد ؟

انجيلو : ألم أقل لك ، أجل ؟ ألم تتلق أمرا بذلك ؟ لماذا اذن تسأل مرة ثانية ؟

الحكمدار : خفت أن يتضح أننى قد تسرعت أكثر من اللازم ، فقد رأيت كثيرا – وأرجو أن تصوبنى – رأيت كيف يعقب الندم تنفيذ حكم .

انجيلو : ليس هذا من شأنك ، دعه لى ، أما أنت فأد وظيفتك أو فاتركها ، ولن يكون فى ذلك ضرر كبير

الحكمدار : سامحنى يا مولاى .. ماذا نصنع بجوليييت المنتحبة ؟ لقد قاربت ساعتها .

انجيلو : انقلوها إلى مكان أنسب بسرعة .

(الخادم عند الباب)

الخادم : لقد جاءت أخت الرجل المحكوم عليه ترجو المثول بين أيديكم .

انجيلو : هل له أخت ؟

الحكمدار : أجل يا مولاى ، فتاة فاضلة جدا سوف تصبح راهبة عما قريب ، إن لم تكن قد أصبحت فعلا .

انجيلو : أدخلوها .

(يخرج الخادم)

أما أنت فتول إقصاء الزانية ، وامنحوها معاشا يسد حاجتها فقط ، وسوف أصدر أمرا بذلك .

(تدخل ايزابيللا فى صحبة لوشيو)

الحكمدار : (ينحنى لينصرف) فى حفظ الله يا مولاى .

انجيلو : انتظر قليلا (لايزابيللا) تفضلى ، ماذا تطلبين ؟

ايزابيللا : لدى التماس مؤلم عندك يا مولاى ، إذا تكرمت بالاستماع إلى .

انجيلو : وما هو ؟

ايزابيللا : ثمة رذيلة لا أمقت شيئا مثلما أمقتها وأتمنى من كل قلبى أن تنالها يد العدالة ، وهى رذيلة لا أود أن أدافع عنها ، لولا أننى مضطرة إلى ذلك ، إنها خطيئة لا ينبغى أن أدافع عنها ، لولا أننى قد أصبحت نهبا لحرب بين أن أفعل وألا أفعل .

انجيلو : طيب ، ما الموضوع ؟

ايزابيللا : إن لى أخا قد حكمتم عليه بالموت ، وإنى لأتوسل إليك أن تعاقب الخطيئة ، لا أخى .

الحكمدار : فليمنحك الله القدرة على التأثير .

انجيلو : نعاقب الخطيئة ، لا مرتكبها ؟ كيف ؟ إن كل خطيئة مدانة قبل أن ترتكب ، وأن عملى يصير بلا جدوى إذا اقتصر على معاقبة الجرائم المثبتة عقوبتها فى القانون ، وأغض النظر عن المجرم .

ايزابيللا : قانون عادل ولكنه قاس ... إذن فقد كان لى أخ ، ليحفظك الله .

(تستدير لتخرج)

لوشيو : لا تيأسى هكذا ، اذهبى اليه ثانية واستعطفيه ، اركعى أمامه ، تعلقى بطرف ردائه ، فإنك باردة أكثر مما ينبغى ، ولو أنك احتجت دبوسا ، لما طلبته بهذه الدعة والاستسلام ، اذهبى اليه وافعلى ما قلت لك .

ايزابيللا : ألا مفر من موته ؟

انجيلو : لا مفر يا فتاتى .

ايزابيللا : بل إنى أعتقد أنك تستطيع الصفح عنه ، ولن تضار السماء ولا البشر من جراء رحمتك .

انجيلو : لن أفعل ذلك .

ايزابيللا : ولكن ، هل تستطيع ، إذا أردت ؟

انجيلو : اسمعى ، إن مالا أريده ، لا أستطيعه .

ايزابيللا : ولكن ، أيمكن أن تفعل – ولن يصيب العالم أى ضرر – إذا مس قلبك الأسى كما مس قلبى عليه ؟

انجيلو : فات الوقت ، فقد حكم عليه .

لوشيو : مازلت باردة أكثر مما ينبغى .

ايزابيللا : فات الوقت ؟ كلا ، فإننى حين أنطق بكلمة أستطيع أن أسحبها .. وصدقنى ، لا شئ أليق بعظماء الرجال ، لا تاج الملك ولا سيف النائب ولا عصا المارشال ولا رداء القاضى , لا شئ أليق بالعظام كالرحمة .. ولو أنه كان فى مكانك وكنت أنت فى مكانه ، لأخطأت مثلما أخطأ ، ولكنه ما كان يكون بهذه القسوة .

انجيلو : أرجوك ، اذهبى .

ايزابيللا : اه لو أعطانى الله قدرتك ، وكنت أنت ايزابيللا .. هل كان الأمر يصير على هذا النحو ؟ كلا ، كنت أفرق بين أن يكون الانسان قاضيا وبين أن يكون سجينا .

لوشيو : هكذا الكلام ، حركيه .

انجيلو : إن أخاك قد انتهك القانون ووقع بذلك تحت طائلته ، ولم يعد لكلامك فائدة .

ايزابيللا : يا للحسرة ! يا للحسرة ... ان أرواح كل من مضوا كانت خاطئة ، وكانت تحت طائلة القانون ولكن الله القادر على أن يعاقب ، وجد العلاج ، كيف يكون حالك ، لو أن الله ، وهو قمة العدالة كان ليحكم عليك ، كما أنت ؟ فكر فى هذا ، ولسوف تتنفس الرحمة من بين شفتيك ، كما لو كنت إنسانا جديدا .

انجيلو : اطمئنى ، أيتها الفتاة الطيبة ، فلست أنا ، بل القانون ، هو الذى حكم على أخيك ، ولو كان من أقاربى ، لو كان أخى أو ابنى لما تغير الحال ، لابد أن يموت غدا .

ايزابيللا : غدا ؟ إن هذا لسريع جدا ، فلتبق عليه ، ابق عليه ... فإنه لم يستعد للموت ، إننا فى مطابخنا نذبح كل طائر حين يحين موسمه ، فهل يكون احترامنا للسماء أقل من احترامنا لأنفسنا الوضيعة ؟ يا مولاى الطيب ، فكر وتذكر ، من ذا أعدم لاقتراف هذه المعصية ؟ ومع ذلك فما أكثر من اقترفوها .

لوشيو : أحسنت .

انجيلو : القانون لم يمت ، بل كان نائما فحسب ، وهؤلاء الكثيرون الذين اقترفوا هذا الإثم ، ما كانوا ليجرأوا على إتيانه لو أن أول من انتهك القانون قد عوقب على فعلته .. والآن ، وقد استيقظ القانون ، فإنه يطارد ما يرتكب ، وكمثل الأنبياء ، ينظر فى مرآة الغيب تريه شرور الغد ، التى يولدها تراخينا الآن أو فى المستقبل ، حتى لا تتعاظم ، بل تنتهى قبل أن تولد .

ايزابيللا : ألا تبدى بعض الشفقة ؟

انجيلو : إننى أبديها كأحسن ما تكون ، حين أبدى العدالة ، لأنى حينئذ أشفق على من لا أعرفهم ، الذين توردهم جريمة لا تلقى عقابا ، موارد الخطر ، كما أنى أخدم من يدفع ثمن خطيئته ، بألا يعيش حتى يرتكب خطيئة أخرى ... ولترض نفسا ، فأخوك سيموت غدا ، ليهدأ بالك .

ايزابيللا : أيتحتم إذن حقا أن تكون أول من يصدر الحكم وأن يكون هو أول من يقع عليه .. شئ عظيم أن يكون للإنسان قوة المارد ، ولكنه طغيان أن يستخدمها كمارد .

لوشيو : عظيم ، أحسنت .

ايزابيللا : وإذا استطاع عظماء الرجال أن يرعدوا كما يفعل الله نفسه ، فإن الله لن يهدأ أبدا لأن كل موظف تافه لا شأن له سوف يستخدم سماءه للرعد لا لشئ وإنما للرعد من أجل الرعد .. أيتها السماء الرحيمة ، يا من تفضلين ان تنزلى صاعقتك الكبريتية المدمرة فتفلقى السنديانة العاتية الصلبة ، على أن تصيبى الريحانة الرقيقة ، ولكن الإنسان ، الإنسان المغرور ، بما له من سلطة صغيرة قصيرة الأمد ، والذى يجهل أكثر ، ما يعرفه أكثر من أى شئ اخر ، وهو أن وجوده زجاجى هش ، هذا الإنسان يلعب كمثل قرد غاضب ، حيلا غريبة أمام السماء ، حتى تبكى الملائكة ، ولو كان تركيب الملائكة مثل تركيبنا البشرى ، لضحكت حتى الموت .

لوشيو : عليه ، عليه يا صبية ، فسوف يلين ، لقد بدأ يتأثر .

الحكمدار : أدعو الله أن تكسب قلبه .

ايزابيللا : إننا لا نستطيع أن نقيس الآخرين بأنفسنا ، فإن عظماء القوم اذا داعبوا القديسين عددناه ذكاء فيهم ، أما اذا فعل السفلة ذلك عددناه تجديفا .

لوشيو : صدقت ، استمرى .

ايزابيللا : وما نعتبره كلمة غضبى إذا قاله قائد ، نعده إلحادا وزندقة إذا قاله الجندى .

لوشيو : متأكدة ؟ استمرى .

انجيلو : لماذا تلقين هذه الأقوال على مسمعى ؟

ايزابيللا : لأن السلطة ، قد تخطئ مثل كل شئ آخر ، إلا أن بها من الدواء ما يغطى القروح من السطح ، فلترجع إلى قلبك ولتدق بابه ، ولتسأله إذا كان قد عرف شيئا مشابها لخطيئة أخى ، فإذا اعترف بأن هناك ما يشابهها ، فلا تدعه يجرى على لسانك كلمة واحدة تهدد حياة أخى .

انجيلو : (جانبا) حين تتكلم ، فإن أفكارها تثير فى افكارا جديدة .. (بصوت مسموع) صحبتك السلامة (يستعد للخروج) .

ايزابيللا : سيدى اللورد ، التفت .

انجيلو : سوف أفكر ، عودى غدا .

ايزابيللا : انظر يا مولاى الطيب كيف أرشوك ، التفت .

انجيلو : (يلتفت) ترشيننى !

ايزابيللا : أجل ، بهدايا سوف تشاركك فيه السماء .

لوشيو : كنت تفسدين كل شئ .

ايزابيللا : لا بأثقال الذهب الغبية ، أو بأحجار كريمة أو بخسة كانت حسبما يرى مزاجنا ، بل بصلوات صادقات ترتفع إلى السماء حيث تصل قبل شروق الشمس ، صلوات الأرواح الخالصة النقية لعذارى صائمات لا تشغل عقولهن أفكار دنيوية .

انجيلو : عودى غدا .

لوشيو : لا بأس ، فقد أحسنت ، فلنرحل .

ايزابيللا : فليحفظك الله .

انجيلو : أمين .. فإنى أندفع نحو الإغراء حيث تضرع الصلوات والرغبات .

ايزابيللا : متى أتشرف بمقابلتك غدا ، يا مولاى ؟

انجيلو : أى وقت قبل الظهر .

ايزابيللا : (تنحنى) يحفظك الله .

(تخرج ، ووراءها لوشيو والحكمدار)

انجيلو : .. منك .. بل من فضيلتك .. أى شئ هذا ؟ أى شئ هذا ؟ أخطأ منها أم منى أنا ؟ أيهما خطيئته أكبر ، من يغرى أم من يغرى ؟ اه .. ليست هى .. لا ، إنها لا تغرى .. بل أنا ، كمن يمكث بالقرب من البنفسج فى الشمس ، يتعفن مثل الجيفة ، لا يتفتح مثل البنفسجة بفعل الفء الحلو ... أيمكن هذا ؟ أيمكن أن تؤثر الدعة فى حواسنا أكثر مما يؤثر فيها غنج المرأة ودلالها ؟ أيمكن ، رغم كثرة ما لدينا من خرائب ، أن نشتهى هدم المعبد لكى نلقى بوساخاتنا ! عار ، عار ، عار ... ماذا تفعل ؟ أى شئ أنت يا أنجيلو ؟ هل تشتهيها دنسا من أجل الأشياء التى تجعلها فاضلة ؟ فليعش أخوها ، إذن من حق اللصوص أن يسرقوا ، إذا كان القضاة أنفسهم يسرقون ... ماذا ؟ ... هل أحبها ، حتى أنى أشتهى أن أسمعها تتكلم مرة أخرى ؟ وأن أمتع نفسى بعينيها ؟ أى شئ ذلك الذى أحلم به ، اه من ذلك العدو الماكر الذى إذا أراد اصطياد قديس ، استخدم القديسين طمعا فى سنارته ، ليس أخطر من ذلك الإغراء الذى يدفعنا نحو الخطيئة ، بأن يجعلنا نحب الفضيلة ، إننى لم تثرنى قط العاهرات بكل ما لديهن من فنون وحيوية وطبع ، ولكن هذه الفتاة الفاضلة قد أوقعتنى تماما .. لقد كنت حتى هذه اللحظة ، حين كان الرجال يهيمون غراما ، ابتسم وأعجب ...

(يخرج)

المشهد الثالث

(فناء مسور أمام السجن .. يدخل الدوق متخفيا فى زى راهب ، والحكمدار)

الدوق : سلام عليك ، أيها الحكمدار ، فأنت هو ، على ما أظن .

الحكمدار : أجل ، أنا الحكمدار .. ماذا يمكن أن أصنع من أجلك أيها الراهب الطيب ؟

الدوق : لقد دعانى حب الخير وهيئتنا المقدسة إلى أن أتى لزيارة الأرواح المعذبة هنا فى السجن ، أرجو أن تسمح لى باستخدام حقى الطبيعى فى أن أراها .. كما أرجو أن أعرف منك طبيعة جرائمهم حتى أعظهم بما ينبغى .

الحكمدار : لسوف أفعل أكثر من ذلك ، إذا أردت .

(تأتى جولييت ، قادمة من السجن)

انظر ، ها هى ذى إحداهن قادمة ، إنها سيدة انساقت وراء حرارة شبابها ، فأفسدت سمعتها .. وحملت سفاحا .. أما الرجل الذى فعل ذلك ، فقد حكم عليه بالإعدام ، رغم أنه شاب قد يناسبه أن يرتكب نفس الجريمة مرة أخرى أكثر مما يناسبه أن يموت بسبب هذه الجريمة .

الدوق : ومتى ينفذ الحكم ؟

الحكمدار : غدا ، فيما أظن .. (لجولييت) لقد دبرت أمرك ، انتظرى قليلا وسوف أصحبك .

الدوق : هل أنت نادمة ، يا فتاتى ، على الخطيئة التى تحملينها ؟

جولييت : أجل ، وإنى لأحمل عارى صابرة .

الدوق : سوف أعلمك كيف تحاسبين ضميرك ، وتختبرين توبتك لتعرفى إذا كانت صادقة أم أنها مجرد واجهة خاوية .

جولييت : يسعدنى أن أتعلم .

الدوق : هل تحبين الرجل الذى أساء إليك ؟

جولييت : أجل ، كما أحب المرأة التى أساءت إليه .

الدوق : يبدو ، إذن أن فعلتكما الآثمة قد اقترفت باتفاقكما ؟

جولييت : باتفاقنا .

الدوق : إن خطيئتك إذن لأثقل من خطيئته .

جولييت : أقر بذلك ، وإنى لنادمة يا أبت .

الدوق : هذا مطمئن ، يا ابنتى – ولكن ، حذار أن يكون ندمك بسبب الخطيئة التى أدت بك إلى هذا العار ، حيث نحزن من أجل أنفسنا ، لا من أجل السماء ، وبذلك نثبت أننا نتمتع عن إغضاب الله ، خوفا لا حبا .

جولييت : إننى نادمة على الشر الذى ارتكبته ، وأحمل عارى فرحة .

الدوق : استمرى على هذه الحال ... إن شريكك ، كما سمعت ، سوف يموت غدا ، سأذهب إليه لأنصحه .. باركك الرب .

(يدخل إلى السجن)

جولييت : يموت غدا ! اه من ذلك القانون الجائر الذى يمهلنى حياة راحتها رعب مميت .

الحكمدار : أسفى عليه !

(يغادران الفناء)

المشهد الرابع

(غرفة فى منزل اللورد انجيلو ، انجيلو راكع على ركبتيه)

انجيلو : (ينهض) عندما أصلى وأفكر ، فإننى أفكر وأصلى لأشياء شتى ، للسماء كلماتى الخاوية ، بينما خيالى الذى لا يسمع لسانى ، لا يفارق ايزابيلا ، الله على لسانى ، كأنما لا أفعل شيئا الا مضغ اسمه ، وقلبى لا يعمره سوى ذلك الشر الكبير الذى تضغمه أفكارى ... إن حالتى كمثل شئ طيب تحول من كثرة الدراسة إلى شئ جاف وممل ، كما أن رزانتى (وأرجو ألا يسمع أحد كلماتى) رزانتى تلك التى بها أفخر ، لو استطعت لحولتها من أجل غنم إلى ريشة لاهية تضرب الهواء عبثا .. اه من رفعة المكانة ، اه من الشكل ، لكم انتزعت لنفسك ، برونقك وأسبابك ، الرهبة من المغفلين ، وجذبت ذوى العقول الراجحة لمظهرك الخداع .. أما انت أيتها الدماء فى العروق ، فسوف تظلين أبدا دماء ، ولو كتبنا على قرن الشيطان " هذا ملاك طيب " لظلت هامته ، هامة شيطان .

(الخادم يقرع الباب ويدخل)

هيه ، من هناك ؟

الخادم : سيدة تدعى ايزابيلا ، راهبة ، ترجو أن تراك .

انجيلو : أرها الطريق .. (الخادم يخرج) يا الله ، لماذا تتدفق الدماء هكذا فى قلبى حتى لتكاد توقفه ، بينما تحرم باقى الأعضاء لياقتها المطلوبة ؟ هكذا تفعل الجماهير الغبية بمن يغمى عليه ، تندفع جميعا لمساعدته ، وبذلك تحرمه الهواء الذى يرد إليه وعيه ، وكذلك تفعل الرعية بمليكها المحبوب حين تنسى نفسها وتندفع لرؤياه فى اشتياق منصاع أحمق ، بحيث يبدو حبها البدائى مهينا .

(ايزابيلا تدخل)

هيه ، يا فتاتى الحسناء ؟

ايزابيلا : جئت لأعرف رغبتك .

انجيلو : سوف يسعدنى أن تعرفيها أكثر مما يسعدنى أن تسألى عنها ... إن أخاك لا يمكن أن يعيش .

ايزابيلا : هكذا .. ؟ يحفظك الله .

انجيلو : وعلى ذلك فإنه يمكنه أن يعيش قليلا ، ربما قدر ما أنا وأنت .. ومع ذلك فلابد أن يموت .

ايزابيللا : تنفيذا لحكمك ؟

انجيلو : أجل .

ايزابيللا : متى ، أتوسل إليك ؟ وذلك حتى يستطيع فى تلك المهلة ، طالت أم قصرت ، أن يعد نفسه للموت حتى لا تضيع روحه .

انجيلو : ها ! يا للعار ، يا لهذه الرذائل الدنسة ، ألا يستوى العفو عن رجل سرق من الحياة إنسانا تم صنعه ، والعفو عمن فى انسياقهم وراء شهواتهم ، يسكون صورة الله على عملات مزيفة ، أو لا يستوى قتل حياة شرعية مكتملة بدون حق ، ووضع معدن فى أجهزة سك غير شرعية لصنع حياة مزيفة !

ايزابيللا : هذا تقرره السماء ، لا الأرض .

انجيلو : وتقولين ذلك ؟ إذن فلسوف يكون اقتناعك أسرع .. أيهما تفضلين ، أن يأخذ قانون لا يرقى إلى عدالته شك حياة أخيك ، أو أن تنقذيه من الموت بأن تسلمى جسدك لشهوة دنسة كما فعلت تلك التى دنسها ؟

ايزابيللا : سيدى ، أرجوك أن تصدقنى حين أقول ، إننى أفضل أن أفقد جسدى على أن أفقد روحى .

انجيلو : أنا لا أتحدث عن روحك الآن ، فإن الخطايا التى نرتكبها مرغمين تعد خطايا ولكنها لا تحسب علينا .

ايزابيللا : ماذا تقول ؟

انجيلو : أنا لا أجيز ذلك بالطبع ، وإنما أستطيع أن أقول عكس ما أقصد .. أجيبى عن هذا السؤال ، لقد أصدرت أنا (المتحدث باسم القانون الموضوع) أصدرت حكما بالموت على أخيك ، أفلا نعد خطيئة تنقذ حياته ، فعلا من أفعال الخير ؟

ايزابيللا : أرجوك أن تفعل ذلك ، ولسوف أخذها على نفسى ، فإنها ليست خطيئة على الاطلاق ، بل هى فعل خير .

انجيلو : معنى استعدادك أن تأخذيها على نفسك أنك تعادلين ما بين الخطيئة وفعل الخير .

ايزابيللا : إذا كان طلبى إنقاذ حياة أخى خطيئة ، فليساعدنى الله أن أتحملها .. وإذا كانت موافقتك على طلبى خطيئة ، فلسوف أصلى كل صباح ، أن تضاف إلى خطاياى ، وألا تحاسب أنت عليها .

انجيلو : لا بأس ، ولكن اسمعى ما أقوله ، إن تفكيرك لا يتابع تفكيرى ، وأما أنك جاهلة ، أو أنك تصطنعين ذلك بحذق ، وليس هذا بالشئ الطيب .

ايزابيللا : فلأكن جاهلة ولا أصلح لشئ ، على ألا أتصور نفسى أفضل من ذلك .

انجيلو : هكذا الحكمة دائما ، حين تنتقص من قدر نفسها وتتواضع ، فإنها تود أن تظهر فى أبهى ثوب كمثل النقاب السود الذى يبرز جمال المحجبات أضعاف ما يمكن لجمالهن نفسه أن يظهر به .. ولكن أنتبهى ، حتى تفهمينى جيدا ، فسوف أوضح إن أخاك لابد أن يموت .

ايزابيللا : هكذا !

انجيلو : وأن جريمته يعاقب عليها القانون ، ولا يحتاج هذا إلى مناقشة ، بالموت .

ايزابيللا : هذا صحيح ...

انجيلو : سلمى أنه ما من طريقة أخرى لإنقاذ حياته – وليس معنى هذا أننى أقر ذلك أو أى طريقة أخرى ، بل هو مجرد افتراض لاقتناعك – إلا بأنك ، أنت ، أخته ، تجدين أن شخصا يثق به القاضى ، أو شخصا له مكانته العالية التى تمكنه من تخليص أخيك من أغلال القانون الملزم للجميع ، إن شخصا هذا وصفه يشتهيك ، وأنه ما من وسيلة على الأرض لإنقاذه ، إلا بأن تسلمى كنوز جسدك لهذا الشخص الافتراضى ، وإلا تركته يتعذب ، فماذا تفعلين ؟

ايزابيللا : بالنيابة عن أخى المسكين وعن نفسى أقول ، لو أننى تعرضت للموت ، إن لم أفعل ، فلسوف أتزين بأثار السياط الحادة كما لو كانت ياقوتا ، ولسوف أخلع كل ملابسى من أجل الموت ، كما لو كان سريرا أضنانى الشوق غليه ، قبل أن أسلم جسدى للعار .

انجيلو : إذن ، فلا مفر لأخيك من الموت .

ايزابيللا : وإن هذا لأرخص ، أليس من الأفضل أن يموت أخ على الفور ، على أن تموت أخته ، بإنقاذه إلى الأبد .

انجيلو : أو لا تكونين إذن قاسية كالحكم الذى اعترضت عليه ؟

ايزابيللا : الفدية بالعار شئ ، والعفو السمح شئ اخر .. وليس الخلاص النجس من الرحمة المشروعة فى شئ .

انجيلو : لقد بدا منذ لحظات أنك تعتبرين القانون جائرا ، بل إنك اعتبرت سقطة أخيك نكتة أكثر منها خطيئة .

ايزابيللا : عفوا يا مولاى ، فكثيرا ما يحدث أننا لكى نحصل على ما نريد ، فإننا نقول ما لا نعنيه ، وانى لألتمس بعض العذر لما أكرهه ، فى سبيل من أحبه حبا عظيما .

انجيلو : كلنا ضعفاء .

ايزابيللا : فليمت أخى ، إذا لم يكن له فى ضعفه البشرى شريك واحد ، بل كان وحده من يعانى منه ويستسلم له .

انجيلو : كما أن النساء أيضا ، ضعيفات .

ايزابيللا : أجل ، مثل المرايا التى يرين أنفسهن فيها ، والتى تنكسر بنفس السهولة التى تعكس بها الأشكال ، النساء ! كان الله فى عوننا ، إن الرجال ليفسدون ما يخلقون ، باستغلالهن .. فلتقل اننا أضعف عشر مرات ، كمثل نعومة بشرتنا ، ولأننا نتقبل الانطباعات الزائفة .

انجيلو : كلام عظيم ، وبهذه الشهادة عن جنسك – حيث أنى أعتقد أننا لم نخلق معصومين من الأخطاء التى تهز كياننا – فلأكن جريئا وصريحا معك ، لقد وعيت كلماتك ... كونى كما أنت ، أى كونى امرأة ، فإذا أردت أن تكونى أكثر من ذلك ، فلن تكونى .. أما إذا كنت (كما تدل كل معالمك الخارجية) فلتظهرى هذا الآن ، بأن ترتدى الزى المحتوم .

ايزابيللا : مولاى الطيب ، ليس لى سوى لسان واحد ، أرجوك أن تتحدث بلغتك السابقة .

انجيلو : فلتعلمى بصراحة أننى أحبك .

ايزابيللا : لقد أحب أخى جولييت ، ولهذا سيموت ، كما تقول .

انجيلو : لن يموت ، يا ايزابيللا ، إذا أعطيتنى حبك .

ايزابيللا : أنا أعرف أن فضيلتك تستبيح لنفسها أن تبدو أقبح مما هى عليه ، حتى تمتحن الآخرين .

انجيلو : صدقينى ، أقسم بشرفى أن كلماتى لتعبر عن قصدى .

ايزابيللا : ويلاه ... من ذا يصدق هذا الشرف الناقص ، وذلك القصد الذى جاوز كل حدود الإثم .. أيها المنافق ، أيها المنافق ... لسوف أفضحك يا انجيلو ، لقد ضعت . وقع لى فورا عفوا عن أخى وإلا فإننى سأصبح معلنة للعالم بملء فمى أى صنف من الرجال أنت .

انجيلو : من ذا يصدقك يا ايزابيللا ؟ إن اسمى الشريف الناصع ، والشدة التى أخذ بها حياتى ، وإنكارى لما تقولين ، ومكانتى فى الدولة ، كل ذلك سوف يجيب اتهامك ، ولسوف تختنقين بحكاياتك ، وتفوح منك رائحة التشهير ... أما وقد بدأت ، فلأكمل سباق حسى حتى النهاية ،

اخضعى رضاك لشهوتى الحادة ، وانفضى عنك كل ثياب اللياقة المصطنعة ودلال الخجل الذى يمنع ما يصبو إليه ... انقذى أخاك بأن تسلمى جسدك لرغبتى ، وإلا فإنه لن يموت ميتته فحسب ، بل ان صدك سوف يطيل عذابه ... وسأنتظر ردك غدا ، وإلا فإن العاطفة التى تدفعنى الآن سوف تجعلنى جائرا معه (أثناء خروجه) أما انت ، فقولى ما شئت وما استطعت ، فإن زيفى يجيب صدقك . (يتركها) .

ايزابيللا : لمن اشكو ؟ وإذا أنا أعلنت ذلك ، فمن ذا يصدقنى ؟ آه من تلك الأفواه الخطيرة التى تحمل فى داخلها لسانا واحدا يدين ويصفح ، تلك التى تجعل القانون ينحنى إعظاما لمشيئتها ، تلك التى يتعلق الحق والباطل بإرادتها ، يتبعها أينما ذهبت ... لسوف أذهب إلى أخى ، فرغم أن حرارة دمائه كانت السبب فى سقطته ، إلا أن تفكيره شريف ، ولو كان لديه عشرون رأسا يسلمها إلى سكين الجلاد ، لما تردد أن يفعل قبل أن تمرغ أخته جسدها فى مثل هذا الفساد الكريه .. وبذلك تعيش ايزابيللا عفيفة ويموت الأخ .. أهم من أخينا عفافنا .. لسوف أخبره بما عرضه على انجيلو ، وأمهد عقله للموت ، حتى تهدأ روحه .

(تخرج)



الفصل الثالث

المشهد الأول

(الفناء الكائن أمام السجن ، الدوق متنكرا ، كلوديو ، والحكمدار)

الدوق : إذن ، فإن لديك أملا فى عفو اللورد انجيلو ؟

كلوديو : ليس للبؤساء من دواء سوى الأمل ، إن لدى أملا أن أعيش ، وقد أعددت نفسى للموت .

الدوق : أقبل على الموت بقلب خالص ، ولسوف ترى أن كلا من الحياة والموت قد أصبح أحلى .. قل للحياة ، إذا فقدتك ، فإنى أفقد شيئا لا يحرص عليه سوى المغفلين ، ما أنت إلا مجرد نسمة لا حول لك إزاء كل تقلبات السماء تعذبين كل ساعة هذا المسكن الذى تسكنين ، لست سوى مهرج الموت ، له تكدحين وحين تهربين منه فإنما غليه تهربين .. ولست أيتها الحياة ، نبيلة فكل أسباب النعمة بك ، أبدعتها يد الوضاعة ... ولست شجاعة ، فأنت تخافين لدغة ناعمة رقيقة من دودة مسكينة ، إن أجمل ساعات الراحة لديك هى ساعات النوم الذى كثيرا ما تبحثين عنه ، ومع ذلك فأنت لا تخشين شيئا قدر الموت الذى لا يختلف عن النوم فى شئ .. قل لها ، إنك لا تملكين نفسك ، بل إن وجودك كله مرهون بآلاف الذرات التى تخرج من التراب .. قل لها لست سعيدة ، فأنت تشقين من أجل ما ليس لديك ، بينما تنسين ما لديك .. ولست مستقرة فتركيبك يتلون بشتى الألوان كما يتقلب القمر . وإذا كنت غنية ، فإنك فقيرة ، كالحمار الذى ينوء ظهره بسبائك النفيس ، تحملين ثرواتك الغالية الثقيلة سفرا قصيرا ، ثم ينزلها عنك الموت .. وأنت لا صديق لك ، فإن أحشائك نفسها التى تسبح بملكك ، تلك التى تخرج من متنك أنت ، تلعن كل لحظة النقرس والجرب والزكام ، لأنها لم تخلصها منك أسرع ... أنت لا شباب لك ولا عمر ، بل كمثل اغفاءة بعد الغداء ، تحلمين بها – فشبابك ، بكل ما فيه من هناء يتحول إلى شيخوخة مخرفة تستجدى البقاء ، وعندما تصل الشيخوخة والثروة ، تفقدين الحرارة والعاطفة والقوة والجمال التى تجعل من الثروة متعة .. اى شئ بعد هذا فيك ، له صفة الحياة ، إن الحياة تحمل فى طياتها ألافا من صنوف الموت الأخرى ، ومع ذلك فإننا نخشى الموت الذى يخلصنا من كل هذه الصنوف .

كلوديو : شكرا لتفضلك .. إننى إذ أتلمس الحياة ، أجدنى أسعى إلى الموت ، وإذ أسعى إلى الموت أجد الحياة ، فأهلا به .

(خبط على الباب)

(صوت من الخارج) .. السلام على أهل هذا المكان والخير والصحبة الطيبة .

الحكمدار : من ذا ينادى ؟ (يفتح الباب) فلتدخل ، فإن تمنياتك تستأهل الترحاب .

(ايزابيللا تدخل)

الدوق : سيدى العزيز ، لسوف أزورك مرة أخرى قريبا .

كلوديو : أشكرك يا صاحب القداسة .

ايزابيللا : لقد جئت فى كلمة او كلمتين مع كلوديو .

الحكمدار : على الرحب والسعة ... سنيور ، لقد حضرت أختك .

الدوق : أتسمح بكلمة أيها الحكمدار .

الحكمدار : أنا طوع مشيئتك .

الدوق : خذنى حيث أستطيع أن أسمع ما يقولان دون أن يريانى .

(يخرج الدوق والحكمدار)

كلوديو : والآن يا أختاه ، أى راحة يجلبها حضورك ؟

ايزابيللا : أطيب راحة ، أطيب راحة بالفعل ، لما كان للورد انجيلو مشاغل كثيرة فى السماء ، فإنه قد اختارك سفيرا سريعا له هناك ، حيث تكون وزيرا مقيما إلى الأبد ، ولهذا فلتسرع فى الاستعداد للرحلة ، فغدا تبدأ السفر .

كلوديو : أما من حل ؟

ايزابيللا : كلا ، اللهم إلا ذلك الذى يفطر القلب شطرين حتى ينقذ الرأس .

كلوديو : ولكن ... هل يوجد حل ؟

ايزابيللا : أجل ، يا أخى ، يمكنك أن تعيش ، فلدى القاضى رافة شيطانية ، لو توسلت إليها لأبقى على حياتك ، ثم غلك حتى الممات .

كلوديو : مؤبد ؟

ايزابيللا : بالضبط ، سجن مؤبد ، حتى لو كانت لديك حرية الحركة فى العالم الواسع ، تظل مكبلا بالحدود .

كلوديو : حدود من أى نوع ؟

ايزابيللا : من ذلك النوع الذى ، إذا وافقت عليه ، لنزع عن جذعك هذا لحاء الشرف وتركك عاريا .

كلوديو : خبرينى بحقيقة الأمر .

ايزابيللا : اه ... لكم أخاف منك يا كلوديو ، وكم أرتجف إذ أتصور أنك قد تحرص على حياة محمومة ، وأن تفضل ست أو سبع سنوات أكثر ، على شرف أبدى .. ألديك الشجاعة على مواجهة الموت؟ فليس فى الموت ما هو أثقل وطأة من الذعر منه ، وأن الخنفساء الصغيرة التى نطؤها بأقدامنا لتشعر بعذاب لا يقل عن ذلك الذى يحسه عملاق يموت .

كلوديو : لماذا تجعليننى أحس بهذا العار ؟ أتعتقدين أننى أستطيع أن ألملم جأشا من رقة الزهور ؟ إذا لم يكن من الموت بد ، فسوف ألقى الظلمة كعروس وأخذها بين أحضانى .

ايزابيللا : هكذا يتكلم أخى ، هكذا ينطق بك أبى فى قبره ، أجل ، لابد أن تموت ، إن نبل روحك العظيمة لا يمكن أن يسمح لك أن تحتفظ بالحياة بوسائل وضيعة ... إن هذا النائب القديس فى مظهره بوجهه الهادئ الرزين وكلماته الموزونة التى تزهق الشباب فى الصميم وتقنص الأخطاء كما يقنص الصقر فريسته ، ليس إلا شيطانا لو قد لنجاسته أن تظهر ، لملأت وضاعته بركة فى عمق جهنم .

كلوديو : انجيلو ، المتزمت !

ايزابيللا : اه ، ليس هذا سوى زى الجحيم الماكر ، الذى يخفى أكثر الأجساد عهرا تحت مظهر التقوى ، فلتعلم يا كلوديو ، لو أننى أسلمت له عذريتى لأطلق سراحك !

كلوديو : يا الله ، لا يمكن !

ايزابيللا : أجل ، يطلق سراحك ، لقاء هذه الخطيئة القذرة ، حتى تستمر فى خطاياك .. الليلة الموعد لأن أفعل ما أمقت ذكره ، وإلا تموت غدا .

كلوديو : أن تفعلى ذاك .

ايزابيللا : لو أنه طلب حياتى لألقيت بها على الأرض لإطلاق سراحك ، كما ألقى دبوسا .

كلوديو : شكرا يا حبيبتى ايزابيللا .

ايزابيللا : استعد يا كلوديو ، فغدا تموت .

اعداد وكتابة وتنسيق : Night walker
E-Mail : mo_romance@hotmail.com

كلوديو : أجل ... ولكن ألديه من العاطفة ما يجعله يعض أنف القانون بهذا الشكل ، بدلا من أن ينفذه ؟ إنها بالتأكيد ليست خطيئة ، وإن كانت كذلك ، فهى أخف الخطايا السبع .

ايزابيللا : أخف ! عن أى خطيئة تتحدث ؟

كلوديو : لو أنها كانت ملعونة ، فما الذى يجعله ، وهو الرجل العاقل ، يعرض نفسه للعقاب الأبدى ، من أجل نزوة طارئة ؟ اه يا ايزابيللا .

ايزابيللا : ماذا يقول أخى .

كلوديو : الموت صعب يا أختى .

ايزابيللا : وحياة العار بغيضة .

كلوديو : أجل ، ولكن أن نموت ، أن نذهب لا نعرف أين ، أن نرقد فى جمود بارد ، وأن نتعفن ، أن يتحول هذا الجسم الحساس الدافئ إلى قطعة طين خامدة موطوءة .. وهذه الروح الهائنة ، أن تغرق فى فيضانات من نار ، أو أن تسكن بين طيات الجليد القارص . أن تسجن فى ريح غير منظورة ويعصف بها فى قلق عنيف حول هذا العالم المعلق ... أن تكون أسوأ من أسوأ ما تتصورة الرؤى المضطربة المعذبة تعوى .. إن أقسى حياة دنيوية وأبغضها ، بكل ما فيها من شيخوخة وألم وفاقة وسجن ، لهى الفردوس بالنسبة لما نخافه من الموت .

ايزابيللا : يا حسرتى ! يا حسرتى !

كلوديو : أختى الحلوة ، أريد أن أعيش .. إن أى خطيئة ترتكبينها لإنقاذ حياة أخيك تغفرها الطبيعة ، بل إنها لتصبح فضيلة .

ايزابيللا : اه ، يا حيوان ، اه يا جبان يا عديم الإيمان ، اه ياتعس يا عديم الشرف ، هل تكون رجلا على حساب رذيلتى ؟ أليس هذا فسقا بالمحارم ، أن تستمد حياتك من عار أختك ؟ ماذا أقول ؟ حاشا لله أن تكون أمى قد أخلصت لأبى .. فإن نفاية من الوحشية العوجاء مثلك ، لا يمكن أن تكون من صلب أبى .. هاك ردى الرافض الساخط ، مت ، اهلك ... وإذا كان انحنائى سوف يطيل من أجلك ، فلينته هذا الأجل ... لسوف أصلى ألف مرة أن تموت ، ولن تنفرج شفتاى بحرف واحد من دعاء أن تعيش .

كلوديو : أرجوك ، اسمعينى يا ايزابيللا .

ايزابيللا : يا للعار ! يا للعار .. يا للعار ..

... لم تكن خطيئتك شيئا عارضا إذن ، بل هى مهنتك .. إن الرأفة بك لقوادة ، يحسن أن تموت فورا .

(تشيح بوجهها عنه وتستعد للذهاب)

كلوديو : أرجوك ، اسمعينى يا ايزابيللا .

(يظهر الدوق)

الدوق : اسمحى لى بكلمة ، أيتها الأخت الشابة ، كلمة واحدة .

ايزابيللا : ماذا تريد ؟

الدوق : إذا كان وقت فراغك يسمح ، فإنى أريد أن أتحدث معك الآن ، وثقى بأن ما سوف أطلبه منك سيفيدك أنت أيضا .

ايزابيللا : ليس لدى فراغ زائد ، ولو مكثت فإننى أقتطع من وقت مشاغلى الأخرى ، ومع ذلك فسوف أمكث معك قليلا .

الدوق : (ينتحى بكلوديو جانبا) لقد سمعت يا بنى ما دار بينك وبين أختك ... إن انجيلو لم يقصد قط أن يفسدها ، بل كان فقط يمتحن فضيلتها ، حتى يتدرب فى الحكم على الطبائع المختلفة .. ولما كانت هى شريفة حقا ، فإنها قد ردت عليه بهذا الرفض الفاضل الذى يسعده أكثر من أى شئ أخر ، إن انجيلو يعترف لدى ، ولذلك فأنا واثق من صحة ما أقوله ، وإذن ، فلتستعد للموت ، ولا تمن نفسك بأمال كاذبات غدا سوف تموت ، فاركع واستعد .

كلوديو : أريد أن أسأل أختى أن تصفح عنى ، لقد زال ما بينى وبين الحياة من حب حتى اننى سوف أسعى للتخلص منها .

الدوق : عظيم ! فلتبق هكذا ، وداعا .

(يتجه كلوديو إلى داخل السجن ، الحكمدار يدخل)

كلمة معك أيها الحكمدار .

الحكمدار : مشيئتك يا أبت ؟

الدوق : بما أنك قد حضرت الآن ، اذهب واتركنى قليلا مع الفتاة ، ولا تخش شيئا عليها من صحبتى ، فإن سريرتى ، كردائى .

الحكمدار : بكل سرور .

(يذهب إلى داخل السجن)

الدوق : (يلتفت لايزابيلا) إن اليد التى سوتك مليحة ، قد سوتك فاضلة ، والخير فى الجمال ، إن كان رخيصا ، ذوى بسرعة ، أما الخير الذى لديك ، فلأنه روح بنيانك ، فسوف يبقى جمالك ، لا يذوى إلى الأبد ... لقد سمحت لى الظروف أن أطلع على تبجح انجيلو عليك ، ولولا أن لهذا الضعف الذى أظهره ، سوابق ، لدهشت مما فعله انجيلو ... ماذا تعتزمين أن تفعلى إزاء هذا العرض ، ولإنقاذ حياة أخيك ؟

ايزابيلا : إننى ذاهبة لأقول له الآن ، أهون على أن يموت أخى شرعا ، على أن يولد ابنى غير شرعى ، ولكن ، كم كان الدوق الطيب مخدوعا فى انجيلو ، إذا عاد الدوق واستطعت أن أكلمه ، فإن كلامى إما أن يضيع سدى ، وإما سأفضح له حكمه .

الدوق : لن يكون فى ذلك ضرر كبير ، ومع ذلك ، وحسب مجريات الأمور الآن ، فإنه سوف ينفى اتهامك ، لقد كان يختبرك فحسب ... ولهذا السبب ، أصغى جيدا لما سوف أشير به عليك ، فقد ألهمنى حبى لفعل الخير مخرجا ، واسمحى لى أن أعتقد أنك يمكنك بمنتهى الإستقامة أن تسدى جميلا لسيدة مظلومة مسكينة تستحق جميلك ، وأن تنقذى أخاك من سطوة القانون ، دون أن تلوثى نفسك الفاضلة وأن تسعدى الدوق الغائب أيما سعادة ، إذا قدر له أن يسمع بهذه الحكاية ، عندما يعود .

ايزابيلا : ألا زدتنى إيضاحا ، إن لدى من العزم ما يجعلنى أفعل أى شئ لا تراه روحى دنسا .

الدوق : الفضيلة لا تنقصها الشجاعة ، والخير لا يعرف الخوف . ألم تسمعى عن ماريانا ، اخت فردريك ذاك المحارب الباسل الذى مات غرقا ؟

ايزابيلا : سمعت عن السيدة كل خير .

الدوق : كان المفروض أن يتزوجها انجيلو ، خطبها وعقدا وحدد موعد الزفاف ، ولكن حدث ما بين عقد القد وإتمام المراسيم أن تحطمت سفينة أخيها فردريك ، حيث كان مهر أخته .. وانظرى كيف كان أثر ذلك على السيدة المسكينة ، فقدت أخا نبيلا ذائع الصيت ، بحبه وحنانه الطبيعيين كما فقدت أهم ما فى ثروتها ، مهر زواجها ، وفوق ذلك كله فقدت عريسها ، انجيلو ظاهر التقوى .

ايزابيللا : أيمكن هذا ؟ هل هجرها انجيلو هكذا ؟

الدوق : هجرها لدموعها ولم يكفكف لها عبرة بقربه ، تنكر لكل عهوده مدعيا أنه أكتشف سوء سلوكها ... باختصار ، تركها للعذاب الذى تعانيه من أجله ، وظل كقطعة رخام تغسلها دموعها ولكنها لا تلين .

ايزابيللا : كم يرحم الموت لو أخذ هذه الفتاة المسكينة من العالم ، وكم هى سيئة تلك الحياة التى تسمح لهذا الرجل أن يعيش ... ولكن ما دخلها هى فى هذا الموقف ؟

الدوق : إنه صدع تستطيعين أنت رأبه ببساطة ، ولن ينقذ علاجه أخاك فحسب ، بل سيظل شرفك مصونا لو فعلته .

ايزابيللا : أرنى كيف ، أيها الأب الطيب .

الدوق : إن هذه الفتاة ما زالت تعيش لحبها الأول ، فإن قسوته التى كان ينبغى أن تخمد نار حبها له ، كما يتصور أى عقل ، كانت كمثل السد فى مجرى المياه ، يزيد التيار عنفوانا ... اذهبى إلى انجيلو ، وأجيبيه إلى طلبه فى خضوع مقنع ، وافقيه على طلبه ، ولكن احرصى على الآتى ، أولا ، ألا تلبثى معه كثيرا ، وأن يكون الموعد فى ظلام صامت ، وأن يكون المكان مستوفيا لهذه الشروط .. وعندما يوافق على هذا – وسيفعل – نقوم بكل شئ ، سنطلب من الفتاة المسكينة أن تحل محلك فى هذا الميعاد ، حتى إذا اكتشف أمر هذا اللقاء فى المستقبل ، فسوف يجبره على تعويضها ، وهكذا ، فإنك بهذه الطريقة تنقذين أخاك ، وتحتفظين بشرفك مصونا ، وتستفيد ماريانا المسكينة ، ويفتضح أمر النائب الفاسد ... ولسوف أخبر الفتاة وأعدها لهذه التجربة ... فإذا لم يكن لديك اعتراض على القيام بذلك ، فإن الفائدة المزدوجة سوف تنأى بخدعتنا عن الملام ... ما رأيك ؟

ايزابيللا : إننى مستريحة جدا لهذه الصورة ، منذ الآن ، وإنى لواثقة أنها سوف تنتهى على خير .

الدوق : الأمر كله متوقف على صمودك .. أسرعى إلى انجيلو ، فإذا طلب إليك أن تقضى الليلة فى فراشه ، عديه بكل خير .. أما أنا فسأذهب من فورى إلى ضاحية سانت لوقا ، حيث تسكن ماريانا البائسة فى مزرعة يحوطها خندق .. وفى ذلك المكان سوف انتظرك بعد أن تفرغى من انجيلو .. لا تغيبى .

ايزابيللا : أشكرك على هذا الحل ، إلى اللقاء أيها الأب الطيب .

(تخرج)

المشهد الثانى

(يدخل البو مع بعض الضباط وبومبى مقبوضا عليه)

البو : الحق أن المسألة تتطلب علاجا ، وإلا فلو استمر بيع وشراء الرجال والنساء كالبهائم ، فلن يشرب العالم كله إلا نبيذا مخلطا .

الدوق : يا إلهى ما هذا الذى يحدث ؟

بومبى : لقد فقد العالم بهجته ، منذ أن ألغيت أبهج الفاحشتين ، بينما خلع على الفاحشة الأخرى السيئة ، بأمر القانون ، رداء محلى بالفراء حتى تشعر بالدفء ، فراء ثعلب مبطن بفراء حمل مما يعنى أن الشطارة ، لكونها أغلى من البراءة ، فإنها تزركشها .

البو : تعال يا سيد من هنا ، سلام عليك أيها الأب الأخ الطيب .

الدوق : وعليك أيها الأخ الأب الطيب ... بم أساء هذا الرجل إليك ، ياسيدى ؟

البو : إنه يا سيدى ، قد خرق القانون ، كذلك فإننا يا سيدى نعتقد أنه لص أيضا يا سيدى .. فقد ضبطنا معه طفاشة غريبة الشكل يا سيدى ، فأرسلناها للنائب .

الدوق : يا للعار ! قواد ، يا سيد ! قواد خبيث ! مورد رزقك هو الشر الذى تتسبب فى ارتكابه .. انظر وتأمل قليلا فيما تفعل ، تحشو كرشك وتكسو ظهرك من رذيلة قذره كهذه ، قل لنفسك " على لمساتهم الكريهة البهيمية ، أشرب وأكل وألبس وأعيش " . هل تعتقد أن حياتك هذه التى يعولها الوحل ، حياة ؟ أصلح حالك ! أصلح حالك .

بومبى : إنها موحلة فعلا فى بعض الأماكن يا سيدى ، ولكنى مع ذلك يا سيدى ، أستطيع أن أثبت ..

الدوق : طبعا ، إذا كان الشيطان قد أعطاك براهين الخطيئة ، فلسوف تثبت ما تشاء .. خذوه إلى السجن ، خذه أيها الشرطى ، فلن ينصلح حال هذا الحيوان إلا بالتأديب والتهذيب .

البو : يجب أن يمثل أمام النائب يا سيدى – فقد أنذره ، ونائبنا لا يطيق القوادين ، فإذا كان هذا الرجل قوادا ومثل أمامه ، فلن تكون الرحلة عبثا .

الدوق : ليتنا كنا جميعا بلا خطايا . كما يبدو بعض الناس ، أو كما تبدو الخطايا حين لا تتوارى .

(لوشيو يدخل إلى الفناء)

البو : إن عنقه سيصل إلى خصرك – الحبل يا سيدى .

بومبى : فرجت ببعض الأمل ، هاهو ضامن .. هاهو أحد السادة ، وهو من أصدقائى .

لوشيو : هيه ، كيف الحال يا بومبى ، أيها النبيل ؟ ماذا تفعل فى عجلات عربة قيصر ؟ هل يعرضونك أسيرا فى موكب انتصارهم ؟ هه – أليس لديكم نساء جدد ، كمثل تمثال بيجماليون ، نأخذها الآن ، مقابل وضع اليد فى الجيب وبسطها فإذا هى ملآنة ؟ ما رأيك ، هه ؟ ما قولك فى هذا اللحن والمعنى والمغنى ؟ أو أن المطر الأخير قد أغرقها ، هه ؟ ما قولك أيتها الشمطاء ؟ ألا يزال العالم كما كان ، يارجل ؟ كيف هو ؟ حزين ، قليل الكلام ، أم كيف ؟ ما الخدعة ؟

الدوق : ما زالت هكذا وكذلك ، بل أسوأ .

لوشيو : كيف حال لقمتى العزيزة ، سيدتك ؟ أما زالت تعمل بالقوادة ؟

بومبى : الحق يا سيدى أنها قد أكلت كل ما لديها من لحم ، وهى الآن ، بنفسها فى القصعة .

لوشيو : عظيم ، هكذا يجب أن يكون الشغل . هكذا ... مومس جديدة ، وقوادة مخللة – نتيجة حتمية ، هكذا .. هل يدخلونك السجن يا بومبى ؟

بومبى : نعم يا سيدى .

لوشيو : لا ضير فى ذلك يا بومبى ، وداعا وقل اننى قد أرسلتك إلى هناك .. أهى الديون ، يا بومبى أم ماذا ؟

البو : لأنه قواد ، لأنه قواد .

لوشيو : طيب ، اسجنوه إذن ، فإذا كان السجن من نصيب القواد ، فهو أيضا أحد حقوقه .. إنه قواد فعلا ولا شك ، قواد عتيق ، ولد قوادا . وداعا يا بومبى ، أيها الرجل الطيب ، سلم لى على السجن يا بومبى .. لسوف تكون زوجا صالحا الآن يا بومبى – فستلزم البيت .

بومبى : أرجو يا صاحب السعادة أن تكون نيافتك ضامنا لى ؟

لوشيو : كلا ، لن أكون يا بومبى ، فلم يعد هذا موضة ... ولسوف أدعو يا بومبى أن يطيل الله سجنك وإذا لم تحتمله فى صبر ، فسوف يصلب معدنك .. وداعا يا بومبى ، سلام عليك يا أبت .

الدوق : وعليك .

لوشيو : أما زالت بريجيت تصبغ ، يا بومبى ؟

البو : تعال يا سيد ، تعال من هنا .

بومبى : ألن تضمننى إذن يا سيدى ؟

لوشيو : لا إذن ولا الآن يا بومبى .. ما الأخبار فى الخارج يا أبت ؟ ما الأخبار ؟

البو : تعال يا سيد ، تعال .

لوشيو : بيتك ، بيتك يا بومبى ، هيا .

(البو والضباط يدفعون بومبى إلى داخل السجن)

ما أخبار الدوق ، يا أبت ؟

الدوق : لا أعرف شيئا ، هل تعرف أنت ؟

لوشيو : يقول البعض إنه عند امبراطور روسيا ، ويقول آخرون إنه فى روما ، ولكن أين تظنه ؟

الدوق : لا أعرف أين ، ولكن أينما كان ، فإنى أتمنى له كل خير .

لوشيو : لقد كانت خدعة غريبة مجنونة منه ، أن ينسل هكذا من الدولة وأن يغتصب هذا التشرد الذى لم يولد لأجله .. إن اللورد انجيلو يحكم جيدا فى غيابه ، بل ويتخطاه .

الدوق : خير ما يفعل .

لوشيو : إن قليلا من التسامح مع الفسق لن يضره ، فهو قاس جدا فى هذه الناحية ، أيها الأب .

الدوق : إنها خطيئة متفشية أكثر مما يجب ، ولابد من الشدة لمعالجتها .

لوشيو : أجل ، معك حق ، فإن لها أتباعا وحلفاء لا حصر لهم ولكن من المستحيل القضاء عليها نهائيا أيها الأب ، إلا إذا منعوا الأكل والشرب .. يقولون ان انجيلو هذا لم تلده امرأة ولم ينجبه رجل كبقية الخلق ، فهل هذا صحيح ، فى رأيك ؟

الدوق : وكيف جاء إلى العالم ، إذن ؟

لوشيو : يقول البعض إن عروس بحر ولدته ، بينما يذهب البعض الآخر إلى أنه جاء نتيجة زواج سمكتى بكلاه مجففتين .. ولكن المؤكد ، أنه يبول ، حين يفعل ، ثلجا متجمدا – هذا أنا أصدقه ، كذلك فإنه أراجوز – وهذا أكيد .

الدوق : إنك مسل يا سيدى وكلامك كثير وسريع .

لوشيو : وإلا فأى قساوة قلب تلك التى تجعله يعدم رجلا لأن شهوته أثيرت مرة ؟ هل كان الدوق الغائب ليفعل ذلك ؟ قبل أن يعدم رجلا لأنه أنجب مائة لقيط ، فإنه يكون قد أنفق على تربية ألف .. فقد كان يستطيب اللعبة ، كان يعرف مذاقها ، وقد علمه ذلك أن يكون رحيما .

الدوق : لم أسمع قط من يتهم الدوق الغائب بحب النساء .. فإنه لم يكن يميل إلى هذه الناحية .

لوشيو : كم أنت مخدوع يا سيدى .

الدوق : غير ممكن .

لوشيو : من ؟ الدوق ؟ نعم ، وما قولك فى الشحاذة ذات الخمسين ربيعا .. ؟ ألم يكن من عادته أن يضع فى طبقها ذى الشخاليل قطعة ذهبية ؟ لقد كانت للدوق نزواته .. بل إنه كان يسكر أيضا –هذا أنا متأكد منه .

الدوق : إنك تتجنى عليه بلا شك .

لوشيو : سيدى ، لقد كنت صديقا حميما له .. لقد كان الدوق خجولا – وأعتقد أننى أعرف سبب انطوائه .

الدوق : وماذا ، لو سمحت ، كان السبب ؟

لوشيو : كلا ، أرجوك اعفنى ، إنه سر يجب أن يظل حبيسا بين شفتى ، ولكننى على الأقل أستطيع أن أجعلك تفهمه ، إن معظم أفراد الرعية كانوا يعتقدون أن الدوق عاقل .

الدوق : عاقل ! وهل يشك أحد فى ذلك ؟

لوشيو : لقد كان رجلا سطحيا جدا ، جاهلا جدا ،غير متزن .

الدوق : أنت إما حاقد أو معتوه أو مخطئ ، فإن تاريخ حياته وما قام به من أعمال ، لو كان لابد من التأكيد ، ينبغى أن يجعل سمعته أحسن من هذا ... ولو أن أحدا تفحص ما أنجزه ، لأقر حتى لو كان حسودا أنه عالم وسياسى ومحارب .. ولهذا ، فإن كلامك يفتقر إلى المعرفة ، أو إذا كانت لديك المعرفة ، فإن الحقد يعميها .

لوشيو : سيدى ، إننى أعرفه ، وأحبه .

الدوق : إن الحب يتكلم بمعرفة أفضل ، والمعرفة بحب أفضل .

لوشيو : ما علينا يا سيدى ، فأنا أعرف ما أعرف .

الدوق : أنا لا أصدق ذلك ، فأنت لا تعرف ما تقوله ... ولكن ، إذا قدر للدوق أن يعود ، كما ندعو الله أن يفعل ، فإنى أرجوك أن تقول هذا الكلام أمامه ، فإذا كان صدقا ما قلت ، فلتكن لديك الشجاعة للتمسك به ، أنا مضطر أن أطالبك بهذا ، وأرجو أن أتشرف بمعرفة اسمك .

لوشيو : لوشيو ، ياسيدى ، وهو اسم يعرفه الدوق جيدا .

الدوق : سوف يعرفه أحسن يا سيدى ، إذا عشت لأبلغه .

لوشيو : أتظن انى أخاف منك ؟

الدوق : اه ، إنك لتتمنى ألا يعود الدوق ، أو أنك تتصورنى خصما غير مؤذ . ولكننى فعلا لا أستطيع أن أصيبك بأذى كبير ، لسوف تنكر ما قلته .

لوشيو : لو شنقونى ما فعلت ذلك ، لقد غششت فى ، أيها الراهب ... ولكن ، فلنغير هذا الموضوع ، ألا تعرف إذا كان كلوديو سيموت غدا أم لا ؟

الدوق : ولماذا يموت ، يا سيدى ؟

لوشيو : لماذا ؟ لأنه ملأ زجاجة بقمع ... كم أتمنى لو أن الدوق الذى نتحدث عنه يعود ، فإن هذا الوكيل اللعين سوف يقضى على كل رجال البلد بتهمة الفسق .. ولن يسمح للعصافير بأن تبنى أعشاشها على أسطح منازله لأنها فاسقة .. أما الدوق فقد كان يحاسب ما يرتكب فى السر ، سرا ، ولم يكن ليفضح هذه الأعمال ، ألا ليته عاد .. إن كلوديو هذا قد حكم عليه بالموت لأنه فك بعض الأزرار .. إلى اللقاء أيها الراهب الطيب ، وأرجوك صل من أجلى .. أما الدوق ، فهو كما أقول لك ، يأكل اللحم الطرى أيام الجمعة .. بل إنه ، ولأقل لك مرة أخرى ، لا يمانع فى تقبيل شحاذة حتى لو كانت رائحتها خبزا أسود وثوما ، قل إننى قلت ذلك ، إلى اللقاء .

(يخرج)

الدوق : ما من قوة أو عظمة على وجه هذه الأرض تسلم من التجريح ، إن التشهير الجبان ليضرب أكثر الفضائل نصاعة ، أى ملك ذلك الذى مهما بلغت قوته ، يستطيع أن يعقد مرارة الألسنة النمامة ؟ من ذا القادم إلى هنا ؟

(اسكالوس والحكمدار وضباط يحرسون السيدة أوفردون ، يدخلون الفناء)

اسكالوس : خذوها إلى السجن .

أوفردون : يا مولانا الطيب ، كن طيبا على ، فالكل يقولون أنك رجل رحيم .. يا مولاى الطيب .

اسكالوس : نصحت مرتين وثلاث مرات ولم ترجعى عن نفس الجريمة ؟ إن هذا ليجعل الرحمة تكفر وتصبح أقسى من الظلم .

الحكمدار : قوادة لمدة أحد عشر عاما ، إذا شئت أن تعرف يا صاحب السعادة .

أوفردون : إن هذا يا مولاى وشاية ضدى من شخص يدعى لوشيو ، وقد حملت منه السيدة كيت كيبدون سفاحا فى عهد الدوق ، بعد أن وعدها بالزواج .. وسيبلغ عمر طفله عاما وربع فى عيد القديسين فيليب وتوما القادم ، لقد احتفظت بالسر بينى وبين نفسى ، ولكن ها هو يفترى على ويشى بى .

اسكالوس : إنه فعلا رجل منحل جدا ، فليمثل أمامنا .. خذوها إلى السجن . (لاوفردون) اذهبى ولا تنطقى بكلمة واحدة . (الضباط يدفعون بها إلى الداخل) ان أخى انجيلو لا يريد أن يغير موقفه ، أيها الحكمدار ، ولسوف يعدم كلوديو غدا .. فلتحضروا له القساوسة ، ولتوفروا له كل ما يلزمه فى هذه الناحية .. ولو أن أخى قد تأثر بإشفاقى ، لما كان هذا هو حاله .

الحكمدار : إن هذا الراهب ، إذا سعادتك سمحت لى ، قد قضى معه بعض الوقت ونصحه بأن يقبل على الموت .

اسكالوس : مساء الخير ، أيها الأب الطيب .

الدوق : الخير والسعادة لك .

اسكالوس : من أين جئت ؟

الدوق : ليس من هذه البلاد ، ومع ذلك فإننى بالصدفة أقضى هنا بعض الوقت . فأنا راهب فى أحد الأديرة قد قدمت مؤخرا من روما حيث كلفنى قداسته بمهمة خاصة .

اسكالوس : وما أخبار العالم فى الخارج ؟

الدوق : لا شئ سوى أن هناك إفراطا فى الفضيلة قد يعجل بنهايتها .. والسبب فى هذا الإقبال هو الجدة ، وبقدر الخطر الكامن فى أن نشيخ على نفس الوتيرة ، بدقر الفضيلة المترتبة على عدم الثبات فى أى شئ نصنعه .. فقد أصبحت الحقيقة الحية من الندرة بحيث لا تكفى ضمانا

لاستقرار المجتمعات ، بل أصبح الضمان فى حد ذاته سببا كافيا لكى تحل اللعنة على الجماعات .. وحول هذا اللغز تدور حكمة العالم .. وقد تكون هذه أخبارا قديمة ، ولكنها أخبار كل يوم .. قل لى أرجوك يا سيدى ، كيف كان الدوق .

اسكالوس : كان يشقى أولا وقبل كل شئ فى سبيل أن يعرف نفسه .

الدوق : فيم كانت متعته ؟

اسكالوس : كان يسعده أن يرى الآخرين فرحين ، أكثر مما كان يفرح لأى شئ يسعده هو .. كان غاية فى الاعتدال فى كل شئ .. ولكن فلنتركه لما يفعله ونصلى أن يوفقه الله ، ولأسألك ، كيف استعداد كلوديو ، فإنى فهمت أنك قد قمت بزيارته ؟

الدوق : إنه موقن بأن القاضى لم يصدر ضده حكما جائرا ، وهو بكل إرادته ، يخضع نفسه لتحقيق مشيئة العدالة ، رغم أن ضعفه قد صور له أمالا خادعة أن يعيش ، ولكنى صرفت جهدى لنزعها من نفسه ، وهو الآن قد حزم أمره على الموت .

اسكالوس : لقد قمت بواجبك أمام الله وسددت دينا للسجين بهذه الزيارة .. وقد حاولت أنا أقصى جهدى المتواضع من أجل الشاب المسكين ، ولكنى وجدت القاضى أخى صلبا لا يلين حتى اضطرنى أن أقول له إنه هو العدالة نفسها .

الدوق : لو كانت حياته هو تتفق مع أحكامه القاسية ، فقد أفلح ، أما إذا حدث وزل ، فقد أصدر الحكم على نفسه .

اسكالوس : أنا ذاهب لزيارة السجين ، إلى اللقاء .

الدوق : صحبتك السلامة (يدخل اسكالوس والحكمدار إلى السجن) .

إن من يحمل سيف السماء ،لا يصح أن تقل قداسته عن قسوته ، بل يجب أن يكون نفسه مثلا ثابت الإيمان ، مضاء الفضيلة ، لا يطفف الكيل ولا يبخسه للآخرين ، بل كما يكيل لنفسه يكيل لهم ، العار على من تقع ضربته الموجعة فتقتل خطايا يشتهيها لنفسه ، العار مثنى وثلاث على انجيلو ، حين يقتلع رذيلتى ويتعهد رذيلته هو حتى تنمو ، آه على ما يخفيه الإنسان ولو بدا ملاكا ، كم يستبيح النفاق لنفسه من جرائم ومن تدليس ، كم بخيوط العنكبوت تنسج المصائر والأمور الخطيرة .. لابد أن أجب بالحيلة الرذيلة .. الليلة تنام مع انجيلو خطيبته القديمة المذكورة ، وبهذا التنكر ، فإن المتنكر سوف يدفع المزيف وهما ثقيلا ، ويوثق عقدا قديما . (يخرج)

الفصل الرابع

المشهد الأول

(حديقة مزرعة يحوطها خندق – الوقت : الأصيل . ماريانا جالسة ، معها غلام)

الغلام : (يغنى)

خذ لو شئت الشفاه الجميلة

خذ شفتيك الحانثتين

خذ عينيك تخزيان بالنور طلعة النهار

اما القبلات التى لثمتك

فهاتها ، هاتها

فقد كانت عهودا لحب ،

عهودا لحب

عهودا باطلات

(الدوق المتنكر يدخل الحديقة)

ماريانا : (تنهض) كف عن الغناء وامض سريعا ، فقد حضر الرجل الطيب الذى طالما هدأت نصائحه سخطى العنيد .. (الغلام يذهب إلى داخل البيت) .

عفوك يا سيدى ، لقد كنت أرجو ألا تجدنى على هذه الحالة مع الموسيقى .. أرجو أن تلتمس لى العذر وأن تصدقنى ، فهى ربما كانت قد سرت عن أحزانى ، ولكنها لم تدخل على نفسى البهجة .

الدوق : لا عليك ، رغم سحر الموسيقى ، الذى كثيرا ما يبدل الشر خيرا ، ويدفع بالخير ناحية الشر .. وخبرينى ، هل سأل اليوم أحد عنى هنا ، فقد ضربت موعدا هنا هذه الساعة .

ماريانا : لم يسأل أحد عنك ، فأنا لم أبرح مكانى طوال النهار .

(ايزابيللا تقترب)

الدوق : صدقت .. فقد جاء الميعاد الآن فقط ، سوف أستأذنك أن تتركينا قليلا ، ولسوف أناديك حالا ، لما فيه خيرك .

ماريانا : طوع مشيئتك دائما .

(تذهب ماريانا إلى داخل البيت)

الدوق : (لايزابيللا) جئت فى ميعادك تماما ، ما أخبار نائبنا الطيب .

ايزابيللا : لديه حديقة يحوطها سور من الحجارة ، فى غربها كرمة عنب ، ولهذه الكرمة بوابة من الخشب يفتحها هذا المفتاح الكبير .. أما هذا المفتاح الصغير ، فهو يفتح بابا صغيرا يؤدى من الكرمة إلى الحديقة – حيث وعدت أن ألاقيه فى ظلام منتصف الليل .

الدوق : ولكن ، هل عرفت المكان جيدا ؟

ايزابيللا : لقد ركزت انتباهى تماما .. وقد شرح لى هامسا بهمة خبيئة وبإشارات يديه ، كل منعرجات الطريق ، مرتين .

الدوق : هل هناك علامات أو امارات أخرى اتفقتم عليها حتى تراعيها ؟

ايزابيللا : كلا ، لا شئ ، لا شئ سوى اللقاء فى الظلام ، واشترطت عليه أن يكون بقائى لديه لمدة قصيرة فقد اخبرته ان لدى خادما يصحبنى معتقدا أننى جئته من أجل أخى .

الدوق : عظيم ، كل شئ قد تم تدبيره ... إننى لم أقل لماريانا شيئا عن هذا بعد .. أنت يا من بالداخل ، يا أهل الدار ..

(ماريانا تعود)

هلا تعرفت بهذه الفتاة ، فقد جاءت فى خير لك .

ايزابيللا : أرجو أن أتعرف أيضا بها .

الدوق : ألا تعتقدين أننى أجلك ؟

ماريانا : إننى أعرفك أيها الراهب الطيب ، وأعرف أنك تفعل .

الدوق : اصحبى اذن رفيقتك هذه ، فلديها قصة تهمك ، ولسوف أنتظركما ولكن أسرعا ، فقد اقترب الليل الكثيف .

ماريانا : أتسمحين أن نبتعد قليلا ؟

(تذهبان إلى الداخل)

الدوق : أيتها المكانة ، وأيتها العظمة .. إن ملايين العيون الزائغة معلقة بك .. وشائعات لا تنتهى لاتترك لحظة .. تلك العيون الزائغة المتضاربة المتلصصة على ما تفعلين .. الاف من الحكايات تجعل منك مسئولة عن أحلامها الوهمية وتشوه صورتك فى أخيلتها .

(ماريانا وايزابيللا تعودان)

أهلا ، هل اتفقتما ؟

ايزابيللا : سوف تنفذ الخطة ، يا أبت ، إن أنت أشرت عليها بذلك .

الدوق : إننى لا أوافق فحسب ، بل إنى لأرجوها أن تفعل .

ايزابيللا : قبل أن تنصرفى عنه ، لا تقولى له إلا " والآن تذكر أخى " بصوت خفيض .

ماريانا : لا تخشى شيئا .

الدوق : وأنت أيضا ، يا ابنتى ، لا تخشى شيئا مطلقا . فهو زوجك حسب العقد السابق .. ولا خطيئة فى جمعكما معا هكذا ، حيث أن عدالة حقك لديه تغفر هذه الخديعة .. هيا نحصد قمحنا فما زال أمامنا حرث وبذر .

(يخرجون)

المشهد الثانى

(غرفة الحرس فى السجن : بابان ، احدهما يفضى إلى الفناء ، والآخر إلى عنابر المساجين .. الوقت : منتصف الليل ، يدخل الحكمدار يتبعه بومبى)

الحكمدار : (يجلس) تعال هنا ، أيها الرجل ، هل تستطيع أن تقطع رأس رجل ؟

بومبى : إذا كان أعزب ، يا سيدى ، فإنى أستطيع .. أما إذا كان متزوجا ، فإنه رأس زوجته ، وأنا لا يمكن أقطع رأس امرأة .

الحكمدار : اسمع يا سيد ، كفى مهاترة وجاوبنى إجابة واضحة .. فغدا فى الصباح لابد أن يعدم كلوديو وبارناردين .. ولدينا هنا فى السجن جلاد عمومى ، ولكنه يحتاج إلى مساعد ، فإذا أنت قبلت أن تساعده ، فسوف يعفيك هذا من القيد ، وإذا أنت لم تقبل فستقضى مدة الحبس كاملة وبعدها ، عند الإفراج عنك ، سوف تجلد بلا شفقة ، فقد كنت قوادا عتيا .

بومبى : لقد كنت يا سيدى ، قوادا غير شرعى لمدة طويلة ، ومع ذلك فسوف يسعدنى أن أكون جلادا شرعيا .. ويسرنى أن أتعلم بعض الأشياء من شريكى وزميلى .

الحكمدار : (يذهب إلى الباب) أنت يا أبهورسون .. أين أبهورسون .. أنت هناك ؟

(يدخل أبهورسون)

أبهورسون : هل ناديت يا سيدى ؟

الحكمدار : اسمع ، ها قد وجدنا لك رجلا يساعدك غدا فى اعدامك .. فإذا لم يكن لديك مانع ، فاتفق معه بالسنة ، وابقه هنا معك ، وإذا كان لديك مانع ، استخدمه الآن ثم اطرده فهو لا يستطيع أن يدانيك قدرا ، لأنه كان قوادا .

أبهورسون : قواد يا سيدى ؟ يا للعار ، إنه ليسئ إلى المهنة وسر المهنة .

الحكمدار : ما علينا يا سيد ، فأنتما من نفس الوزن حتى ان ريشة واحدة لتقلب الكفة .

بومبى : بحق وجهك يا سيدى ، فإن لديك وجها طيبا ، لولا أن نظرتك معلقة .. هل تسمى عملك هذا مهنة ، ولها أسرار ، يا سيد ؟

أبهورسون : طبعا يا سيد ، مهنة .

بومبى : إن الرسم بالألوان ، كما يقال يا سيد ، مهنة أيضا ولها أسرارها ، ولما كانت العاهرات عضوات حرفتى ، تستخدمن الألوان ، فإن ذلك يثبت أن حرفتى أيضا مهنة ولها أسرار .. ولكن أى سر فى مهنة الشنق ؟ أنا لا أتصور ذلك حتى لو شنقونى .

أبهورسون : إنها مهنة يا سيد .

بومبى : والدليل ؟

أبهورسون : ان ثياب أى رجل شريف تناسب كل لص ، فإذا كانت أضيق مما ينبغى على اللص فإن الرجل الشريف يعتقد أنها واسعة بما فيه الكفاية ، وإذا كانت أوسع مما ينبغى على اللص ، فإن الرجل الشريف يعتقد أنها كانت ضيقة كفاية ، ولهذا ، فإن ثياب أى رجل شريف تناسب كل لص .

(الحكمدار يعود)

الحكمدار : هل اتفقتما ؟

بومبى : سوف أساعده يا سيدى ، ففى الشنق توبة أكثر مما فى القوادة ، حيث أن الجلاد يسأل المغفرة أكثر .

الحكمدار : أنت يا سيدنا ، جهز قرمتك وبلطتك للصباح ، فى الرابعة .

أبهورسون : تعال يا قواد ، سوف أعلمك سر المهنة ، اتبعنى .

بومبى : إننى حقا أريد أن أتعلم ، يا سيدى ، أرجو إذا حانت الفرصة وجاء الدور لتشتغل على ، أن تجدنى مستعدا .. فأنا مدين لك بدور ، لأنك رجل طيب .

الحكمدار : ناد على كلوديو وبارناردين .

(بومبى وأبهورسون يخرجان)

أحدهما يستحق كل العطف ، والآخر لا يستحق شيئا على الإطلاق ، فهو قاتل ، حتى لو كان أخى ..

(يدخل كلوديو)

انظر ، ها هو ذا أمر إعدامك يا كلوديو .. لقد انتصف الليل تماما ، وغدا فى الثامنة صباحا تحصل على الخلود .. أين بارناردين ؟

كلوديو : يغط فى النوم ، كمثل التعب البرئ حين يرقد متخشبا فى عظام المسافر ، وهو لا يريد أن يستيقظ .

الحكمدار : من ذا يستطيع أن يؤثر عليه ؟ طيب ، اذهب أنت وأستعد .

(خبط من الخارج)

ولكن ما هذا الصوت ؟ فلتمنح السماء روحك الراحة ..

(كلوديو يذهب إلى الداخل ، الخبط مستمر . ينهض الحكمدار)

حالا ، حالا ، أرجو أن يكون عفوا أو تأجيلا من أجل كلوديو الرقيق .

(يفتح الباب الذى يفضى إلى الخارج – الدوق المتنكر يدخل)

أهلا بك يا أبت .

الدوق : فلترعك أرواح الليل الطيبة الخيرة ، أيها الحكمدار الطيب .. من زاركم هنا مؤخرا .

الحكمدار : لم يزرنا أحد منذ دق جرس المساء .

الدوق : وايزابيللا ، ألم تحضر ؟

الحكمدار : كلا .

الدوق : سوف يأتون إذن ، حالا .

الحكمدار : أثمة ما ينقذ كلوديو ؟

الدوق : شئ من أمل .

الحكمدار : ياله من نائب قاس .

الدوق : ليس كذلك ، ليس كذلك ، فإن حياته تتفق مع سير واتجاه عدالته العظيمة .. فهو ، بعفة مقدسة ، يخضع فى نفسه ذلك الذى يضبطه عند الآخرين بدافع من سلطته ، ولو كان فى حياته نقطة واحدة ذلك الدنس الذى يعاقبه لكان جائرا ، ولما كان الأمر كذلك ، فإنه عادل .. ها قد حضروا .

(خبط على الباب ، الحكمدار يذهب إلى الداخل)

هذا حكمدار رقيق الحاشية ، بينما يندر أن تجد سجانا صديقا للناس (الخبط يشتد) ما هذه الضجة ؟ لابد أن الشخص الذى يقرع الباب بهذا القلق ، فى عجلة من أمره .

(يعود الحكمدار)

الحكمدار : عليه أن ينتظر حتى يقوم الضابط ليفتح له ، وقد أرسلنا نوقظه .

الدوق : ألم تتسلم نقضا لحكم كلوديو بعد ؟ ألا يزال الحكم أن يموت غدا ؟

الحكمدار : لا شئ يا سيدى ، لا شئ .

الدوق : لقد أوشك الفجر على البزوغ أيها الحكمدار وسوف يصلك شئ قبل الصباح .

الحكمدار : ربما كنت تعرف شيئا ، ولكنى لا أعتقد أننى سأتسلم أى نقض ، فليست هناك أية سابقة لهذا ... ثم ان اللورد انجيلو ، على مقعد القضاه ، قد أعلن للشعب عكس ذلك .

(يدخل رسول)

هذا رسوك النائب .

الدوق : وها هو العفو عن كلوديو .

الرسول : (يسلمه خطابا) لقد بعث سيدى هذه الرسالة إليك وحملنى هذا الأمر أيضا .. ألا تتهاون فى تنفيذ أدق ما جاء فى الرسالة ، لا من ناحية الوقت ، ولا المضمون ولا أى ظرف أخر .. طاب صباحك ، فقد طلع النهار أو كاد على ما أظن .. (يذهب) .

الحكمدار : لسوف أطيعه .. (يبدأ فى قراءة الرسالة) .

الدوق : هذا هو العفو الذى ابتاعته خطيئة من عفا ، ومن هنا قدرة الخطيئة إذا ارتكبها من هم فى السلطة .. فالرذيلة ، اذا أشفقت ، اتسعت الرأفة حتى ليصادف الخاطئ حبا فى الخطيئة

(بصوت عال) والآن يا سيدى ، ما الأخبار ؟

الحكمدار : ألم أقل لك .. ؟ ان اللورد انجيلو ، معتقدا أننى متراخ فى أداء وظيفتى ، يلفت نظرى بهذا الاستعجال غير الضرورى – وبصورة غريبة لم أعهدها منه .

الدوق : أرجو أن تسمعنا ما جاء فيها .

الحكمدار : (يقرأ) مهما سمعت ما يناقض ذلك ، اعدم كلوديو فى الساعة الرابعة وبارناردين بعد الظهر وحتى أرتاح أكثر ، ابعث لى برأس كلوديو الساعة الخامسة .. ولتفعل ذلك كما ينبغى ، ولتوقن أن هذه الرسالة يعتد بها أكثر مما يعتد بما قد نرسل – ولهذا لا تتهاون فى أداء وظيفتك ، وإلا فإنك مسئول عما يحدث .. ما رأيك فى هذا يا سيدى ؟

الدوق : من بارناردين هذا الذى ينبغى إعدامه بعد الظهر ؟

الحكمدار : بوهيمى (من رعايا بوهيميا) ولكنه تربى هنا وعاش . وهو سجين منذ تسع سنوات .

الدوق : كيف حدث أن الدوق الغائب لم يبت فى أمره سواء بالافراج أو الاعدام ؟ فقد سمعت أن هذه كانت طريقته دائما .

الحكمدار : كان أصدقاؤه يطلبون التأجيل المرة بعد الاخرى والواقع أن فعلته ، حتى عهد اللورد انجيلو ، لم تكن قد تأكدت بصورة واضحة .

الدوق : وهل تأكدت الآن ؟

الحكمدار : بصورة قاطعة وهو نفسه لا ينكرها .

الدوق : هل كان سلوكه فى السجن يتسم بالندم والتوبة ؟ كيف كان يتصرف ؟

الحكمدار : إنه لا يدرك الفرق بين الموت وبين نوم السكران ، وهو طائش لا يكترث لشئ ، ولا يخشى حاضرا أو ماضيا أو مستقبلا ، لا يحس بدنو أجله ، بل يسعى نحو الموت حثيثا .

الدوق : إنه يحتاج النصح .

الحكمدار : انه لا يقبل أن يسمع أية نصيحة .. بل انه يفعل ما يشاء فى السجن ، حتى انه حين سمح له بالهرب من هنا ، رفض ، وهو يسكر كثيرا كل يوم ، بل ويقضى أياما متصلة لا يفيق .. وقد حاولنا إيقاظه كثيرا ، كما لو كنا سنحمله إلى غرفة الإعدام ، وأريناه أمرا وهميا بإعدامه ولكنه لم يحرك ساكنا .

الدوق : سوف نتحدث عنه أكثر فيما بعد .. أيها الحكمدار ، إننى أرى الأمانة والإيمان الراسخ على جبينك ، ولم أخطئ قراءتهما اللهم إلا إذا كانت فطنتى قد خانتنى .. ولكن ثقتى بفراستى تجعلنى أخاطر .. ان كلوديو الذى تلقيت الامر بإعدامه . لا يستحق الموت ، طبقا للقانون ، بأكثر مما يستحق انجيلو ، الذى حكم عليه ، وحتى تفهمنى بصورة واضحة .. فإننى أطلب مهلة أربعة أيام ، تكون قبلها قد أسديت لى معروفا خطرا وقدمت لى هدية .

الحكمدار : وما هذه ، لو سمحت يا سيدى ؟

الدوق : أن تؤجل الاعدام .

الحكمدار : ويلاه ، كيف يا سيدى ، بعد أن حددت الساعة وأرسل لى أمر مستعجل ، بإرسال رأسه إلى انجيلو ، والا تعرضت للعقاب ؟ اننى قد أضع بنفسى فى موضع كلوديو ، لو خالفت هذا فى أدق التفاصيل .

الدوق : بحق مقامى الدينى ، أسألك هذا ، وإذا سمحت لى أن أرشدك لما تفعل ، أعدم برناردين هذا الصباح ، واحمل رأسه إلى انجيلو .

الحكمدار : لقد رأى انجيلو كليهما وسوف يتعرف على الوجه .

الدوق : إن الموت أنجع وسائل التنكر ، ويمكنك أن تضيف إليه من عندك .. احلق شعر الرأس واربط اللحية أو اصبغها ، ثم قل إنها كانت رغبة السجين قبل إعدامه .. وأنت تعرف أن هذا إجراء عادى .. وإذا حدث لك من جراء ذلك شئ غير الشكر والحظ السعيد ، فإنى أقسم بالقديس الذى أسير على دربه أننى سوف أدافع عنك بحياتى .

الحكمدار : اعفنى أيها الأب الطيب ، فإن هذا حنث بقسمى .

الدوق : هل حلفت اليمين أمام الدوق أم أمام النائب ؟

الحكمدار : للدوق ومن يفوضه .

الدوق : وهل تؤمن بأنك لا تحنث بهذا القسم لو أن الدوق أقر مشروعية ما فعلت ؟

الحكمدار : ولكن ما احتمال حدوث ذلك ؟

الدوق : انه ليس مجرد احتمال ، بل حقيقة مؤكدة ، ولكنى أراك خائفا ، وحيث ان مسوحى وشخصيتى ومنطقى ، لم تفلح فى اقتاعك ، فسوف أذهب أبعد مما قدرت ، لكى أنتزع كل الخوف من نفسك (يأخذ ورقة من كيسه) انظر يا سيدى ، هاهو خط الدوق وخاتمه .. إنك تعرف خطه ولاشك وليس الخاتم غريبا عليك ..

الحكمدار : أعرف الاثنين .

الدوق : إن مضمون هذه الرسالة هو عودة الدوق ، ولسوف تقرؤها على مهلك ، حيث ستجد أنه سوف يكون هنا فى خلال يومين .. وهذا شئ لايعرفه انجيلو ، فهو يتسلم اليوم خطابات تحوى أخبارا غريبة – مثل ان الدوق قد مات ، ربما ، أو ربما أنه قد دخل أحد الأديرة ، ولكنه لا يعرف شيئا عن هذا بالمرة .. انظر ان النجم قد بدأ يظهر ليوقظ الرعاة .. لا تستغرب ما يحدث

ولا كيف يحدث ، فالصعب يسهل حين نعرفه .. ناد على جلادك ، ولقطع رأس برناردين ، ولسوف أباركه بسرعة وأعده لمكان أفضل .. إنك مازلت مندهشا ، ولكن هذا سوف يقنعك تماما .. هيا ، فقد كاد الفجر يبزغ .

(يخرجان)



المشهد الثالث

بومبى : إن لى من المعارف هنا مثلما كان لى فى بيت الشغل ، حتى أننى أتصور أحيانا أنى مازلت عند السيدة أوفردون شخصيا ، فكثير من زبائنها القدامى هنا .. خذ عندك مثلا السيد طائش ، الذى سجن بسبب صفقة ورق أسمر وخل معتق ، سبعة وتسعين رطلا حقق فيها خمسة أضعاف ثمنها عدا ونقدا ، ثم حدث أن قل الطلب على الخل المعتق ، فقد ماتت كل العجائز .. وعندنا أيضا السيد مزقطط الذى سجن فى قضية السيد قطيفة مفتخرة ، تاجر المانيفاتورة ، من أجل أربعة أثواب ساتان خوخى ، قد أعلن إفلاسه ، ولدينا أيضا دايخ الصغير ، والسيد أبو قلب رهيف ، والسيد منفوخ على الفاضى ، والسيد هفتان الخدام ، رب السيف والخنجر ، والسيد جلده الصغير الذى قتل السيد فالوذج الطعم ، وخذ عندك أيضا السيد باتر ، المبارز والسيد المقدام رباط الجزمة المسافر العظيم ، والسيد جردل المتوحش الذى طعن السيد كور وأربعين غيره ، فيما أظن – وكل هؤلاء ، مشهود لهم بطول الباع فى مهنتنا ، وقد أصبحوا الآن " على باب الله يا محسنين " .

(يدخل ابهورسون)

أبهورسون : اسمع ، احضر بارناردين هنا .

بومبى : (يفتح الباب الذى يفضى إلى عنابر المساجين)

يا سيد بارناردين ، اصح لكى تشنق ، يا سيد بارناردين !

أبهورسون : أنت يا هوه ، بارناردين !

بارناردين : (من الداخل) جاءتكم مصيبة فى قلبكم ! من الذى يحدث هذه الضجة ؟ من أنتم ؟

بومبى : نحن أصدقاؤك ياسيدى الجلاد .. كن طيبا يا سيدى واصح لكى تموت .

بارناردين : اغرب أيها الصعلوك ، اغرب ، أريد أن أنام .

أبهورسون : قل له أنه لابد أن يستيقظ بسرعة .

بومبى : أرجوك يا سيد بارناردين ، اصح حتى تعدم ، ثم نم على مزاجك فيما بعد .

أبهورسون : ادخل عليه وأخرجه هنا .

بومبى : إنه قادم يا سيدى ، إنه قادم .. فإن قشه يخشخش .

(بارناردين يدخل مترنحا إلى الغرفة)

أبهورسون : (لبومبى) هل البلطة جاهزة على القرمة يا بنى ؟

بومبى : جاهزة ، تماما يا سيدى .

بارناردين : (يخبطه على كتفه) هيه يا ابهورسون .. ما الحكاية معك ؟

أبهورسون : فى الحقيقة يا سيدى أرجو أن تشرع فى صلاتك ، فقد وصل الأمر بإعدامك .. انظر .

بارناردين : أيها الصعلوك ، لقد كنت أشرب طوال الليل ، ولست جاهزا .

بومبى : أحسن يا سيدى ، لأن من يشرب طول الليل ويعدم فى الصباح الباكر يستطيع أن ينام بعمق طول النهار التالى .

(الدوق المتنكر يدخل)

أبهورسون : انظر يا سيدى ، ها قد جاء أبوك الروحى .. هل تعتقد أننا نهزر ، هه ؟

الدوق : سيدى ، جئت إليك مدفوعا بالرغبة فى عمل الخير ، حين علمت أنك سوف ترحل بسرعة ، جئتك ناصحا ومسريا حتى أصلى معك .

بارناردين : اسمع أيها الراهب ، لست أنا ، لقد كنت أشرب بكل قواى طول الليل ولابد أن يكون لدى وقت أطول حتى أستعد ، وإلا فليكسروا دماغى بعصيهم .. فلن أوافق على أن أموت اليوم ، هذا مؤكد .

الدوق : آه يا سيدى ، لابد ، ولذلك فإنى أتوسل إليك أن تتأمل الرحلة التى أنت مقدم عليها .

بارناردين : أقسم أننى لن أموت اليوم مهما حاولتم اقناعى .

الدوق : ولكن ، اسمع ..

بارناردين : ولا كلمة .. اذا كان لديك ما تقوله ، تعال إلى زنزانتى ، فوالله لن أخرج منها اليوم .

(يخرج .. الحكمدار يدخل)

الدوق : إنه لا يصلح للحياة ولا للموت .. قلب متحجر ، وراءه يا رجال واحضروه .

(يخرج أبهورسون وبومبى فى أثره)

الحكمدار : هيه ، كيف وجدت السجين ، يا أبت ؟

الدوق : ليس جاهزا ولا مستعد للموت ، ولو اعدمناه فى حالته تلك الآن لحقت علينا اللعنة .

الحكمدار : مات اليوم هنا فى السجن متأثرا بحمى عنيفة شخص يدعى راجوزين ، وهو قرصان معروف فى مثل سن كلوديو ، ورأسه ولحيته من نفس اللون .. ماذا لو أجلنا هذا الفاسد حتى يستعد ، وأرحنا النائب برأس راجوزين ، الذى يشبه كلوديو أكثر ؟

الدوق : إن هذه لصدفة من فعل السماء .. ابعثه فورا فقد اقترب الموعد الذى حدده انجيلو .. افعل هذا حسب الأوامر ، بينما اقنع انا هذا الشقى أن يقبل على الموت .

الحكمدار : حالا أيها الأب الطيب ، ولكن بارناردين يجب أن يموت بعد الظهر ، كيف سنبقى كلوديو هنا وكيف أنجو من الخطر الذى يتهددنى ، لو عرف انه مازال حيا ؟

الدوق : سأقول لك – ضعهما فى مكان قصى ، كلا من برناردين وكلوديو ، وقبل أن تتم الشمس دورتين حول عالمنا ، ستكون قد ظفرت بالسلامة .

الحكمدار : أنا تابعك الأمين .

الدوق : بسرعة ، اذهب لاحضار الرأس ، وأرسله إلى انجيلو .

(يخرج الحكمدار – الدوق يجلس إلى مائدة ويكتب)

سأكتب الآن خطابات لانجيلو ، ولسوف يحملها الحكمدار ، وسيعرف من محتويات هذه الخطابات أننى قريب من الوطن .. وأننى لأمر خطير ، لابد أن أدخل المدينة فى موكب علنى رسمى .. سأطلب إليه أن يستقبلنى عند النافورة المقدسة ، على بعد فرسخ من المدينة ، ومن هناك سوف نتقدم مع انجيلو فى وقار رسمى مدبر .

(الحكمدار يعود حاملا سلة)

الحكمدار : هاهو الرأس ، سوف أحمله بنفسى .

الدوق : هه ! معقول .. وعد بسرعة ، فإنى أريد أن أحدثك فى أشياء لا ينبغى لغيرنا أن يسمعها .

الحكمدار : حالا . (يخرج)

(صوت من الخارج) السلام على من هنا .

الدوق : إنه صوت ايزابيللا .. جاءت لتعرف اذا كان عفو أخيها قد وصل .. ولكنى سوف أخفى عنها الحقيقة الطيبة ، حتى يتحول يأسها إلى راحة من السماء فى وقت لاتتوقعها . (يستمر فى الكتابة)

(ايزابيللا تفتح الباب وتدخل)

ايزابيللا : بعد اذنك ..

الدوق : (يلتفت) صباح الخير على ابنتنا الحسناء الفاضلة .

ايزابيللا : خير أكثر اذ تجئ من رجل مقدس مثلك ، هل أرسل النائب عفو أخى ؟

الدوق : لقد اعتقه يا ايزابيللا ، من هذا العالم ، طار رأسه وأرسل إلى انجيلو .

ايزابيللا : كلا ، لم يحدث هذا !

الدوق : لم يحدث غير هذا ، أظهرى حكمتك ، يا ابنتى بالصبر الجميل .

ايزابيللا : ويلاه ، لسوف أذهب إليه وأفقأ عينيه .

الدوق : لن يسمح لك بمقابلته .

ايزابيللا : أواه يا كلوديو ، أواه يا تعس ، أواه يا ايزابيللا التعسة ، ويلاه من عالم ظالم ، اللعنة عليك يالنجيلو (تبكى) .

الدوق : إن هذا لن يضره ولن ينفعك ذرة ، تحملى وفوضى أمرك لله واسمعى ما أقول لك وسوف تتأكدين من صدقه حرفا حرفا .. إن الدوق سيصل هنا غدا .. هيا جففى دموعك .. وقد أخبرنى بذلك أحد الأخوة فى الدير ، وهو ذلك الذى يعترف عنده الدوق .. لقد حمل هذا الأخ رسائل إلى اسكالوس وانجيلو ، وهما يستعدان فعلا لاستقباله عند البوابات حيث يسلمان له سلطتهما .. فإذا كنت تستطيعين ، وجهى عقلك إلى الطريق التى أريد أن تسلكيها ولسوف يحقق لك الدوق ما يتمناه قلبك ، وتنعمين بعطفه ، وتنتقمين لنفسك وتحصلين على الإكبار العام .

ايزابيللا : أنا طوع أمرك .

الدوق : اعطى هذا الخطاب ، اذن ، للراهب بيتر ، فهو الذى أرسل يخبرنى عن عودة الدوق .. قولى له ، بهذه الامارة ، إننى أود أن يلاقينى عند منزل ماريانا الليلة .. وسوف أحيطه علما بقضيتكما ، وسيأخذكما هو الى الدوق أو يوجه الاتهام إلى انجيلو فى الصميم .. أما عن نفسى

المتواضعة ، فإن قسما مقدسا يمنعنى من شهود ذلك .. اذهبى انت بهذا الخطاب ، وانفضى هذه المياه المعذبة عن عينيك بقلب خال ، واذا لم أحقق لك غرضك ، فلا تثقى بأخوتى المقدسة .. من ذا هناك ؟

(لوشيو يدخل)

لوشيو : أنعمت مساء . أيها الراهب ، أين الحكمدار ؟

الدوق : ليس هنا ، يا سيدى .

لوشيو : اه ، يا ايزابيللا الجميلة ، إن قلبى يتقطع لرؤية عينيك حمراوين هكذا ، لابد أن تصبرى .. كم كنت أود أن أعيش على الماء والنخالة ألما ، ولكن معدتى لا تحتمل وأخشى على رأسى .. فإن وجبة واحدة تكفى .. ولكنهم يقولون إن الدوق سوف يكون هنا غدا ، الحق يا ايزابيللا ، لقد كنت أحب أخاك ، ولو كان ذلك الدوق العجوز غريب الأطوار الغامض هذا هنا ، لعاش .

(تخرج ايزابيللا)

الدوق : إن قلة امتنان الدوق لحكاياتك عنه لأمر غريب يا سيدى ، ولكن أفضل ما يفعله ، أنه لا يعيش على هديها .

لوشيو : أيها الراهب ، أنت لاتعرف الدوق كما أعرفه إنه زير نساء أفضل مما تتصور .

الدوق : طيب ، سوف تسأل عن هذا يوما ما ، وإلى اللقاء .

(يستعد للذهاب)

لوشيو : اسمع ، انتظر ، سوف أصحبك وأستطيع أن أحكى لك حكايات ممتعة عن الدوق .

الدوق : لقد حكيت لى عنه أكثر مما ينبغى حتى الآن ، إذا كانت حكاياتك صادقة ، أما اذا لم تكن فمهما قلت فلن تكفى حكاياتك .

لوشيو : لقد مثلت أمامه مرة متهما بفتاة حملت منى .

الدوق : وهل فعلت ذلك ؟

لوشيو : طبعا فعلت ، ولكنى حلفت أننى لم أفعل ، وإلا كانوا يزوجوننى تلك الثمرة العطنة .

الدوق : سيدى ، إن لذة صحبتك أكثر من أمانتها ، خليتك بعافية (يفتح الباب) .

لوشيو : صدقنى ، سوف أذهب معك إلى اخر الزقاق فقط ، وإذا كان هذا الكلام البذئ يسوءك ، فلن نتحدث فيه كثيرا .. اننى أيها الراهب كاللزقة ، يصعب التخلص منى .

(يتبع الدوق إلى الخارج)



المشهد الرابع

(غرفة فى منزل اللورد انجيلو ، انجيلو واسكالوس)

اسكالوس : إن كلا من خطاباته يناقض الآخر .

انجيلو : بشكل مشوش مضطرب .. وان أفعاله لتبدو على حافة الجنون .. ندعو الله ألا يكون عقله قد اختل .. ولماذا نقابله عند البوابة ، ونسلم سلطاتنا إليه هناك ؟

اسكالوس : لا أدرى .

انجيلو : ولماذا نعلن عودته ، قبل ساعة من دخوله المدينة ، حتى إذا كان لدى أحد شكوى من العدالة يقدم التماسه فى الشارع ؟

اسكالوس : انه يبدى أسبابه لذلك .. فهو يريد أن يفرغ من الشكاوى حتى يخلصنا من الكيد فيما بعد ، بحيث لا يصبح لكائد حجة علينا .

انجيلو : لا بأس ، أرجوك اذن أن تعلن رغبته ، ولسوف أزورك فى المنزل فى الصباح الباكر .. نبه على الأعيان الذين سوف يقابلونه .

اسكالوس : سأفعل يا سيدى ... إلى اللقاء .

انجيلو : طابت ليلتك (يخرج اسكالوس)

لقد قضت هذه الفعلة على راحة بالى ، وأخمدت همتى لكل ماينبغى فعله .. بكر مغتصبة ، ومن فعلها ؟ شخصية ذات مكانة رفيعة ، طبقت القانون ضد الجريمة نفسها .. اه لو لم يكن خجلها الرقيق يمنعها من فضح عذريتها المهتوكة ، كم كانت تقول عندئذ ! ومع ذلك ، فإن عقلها كان ليمنعها ، فإن ما لسلطتى من قوة تجعل كل ما أقوله صدقا ، وتخرس أى فضيحة وتردها إلى نحر مرددها .. كان يجب أن يعيش ، لولا أن شبابه الفائر الخطر ، كان يمكن فى مستقبل الايام أن ينتقم لتلك الحياة الملوثة التى اشتراها بفدية كهذه .. ومع ذلك فياليته عاش .. أواه مما يحدث عندما ننسى فضيلتنا ، يضطرب كل شئ ، فلا نعرف مانريده مما لانريده .

(يخرج)

المشهد الخامس

(النافورة المقدسة ، على بعد فرسخ من المدينة .. الدوق فى ثيابه العادية والراهب بيتر)

الدوق : (يعطيه أوراقا) سلم لى هذه الخطابات عندما يحين الوقت .. الحكمدار يعرف قصدنا ومخططنا . وعندما نبدأ نفذ التعليمات التى لديك ، والتزم بما أوضحناه ، ولكن تصرف حسب ما تقتضيه الحاجة .. اذهب إلى فلافيوس فى منزله وأخبره بمكانى وافعل نفس الشئ مع فالينتينوس وورولاند وكراسوس واطلب منهم إحضار حاملى النفير إلى البوابات ولكن فلترسل لى فلافيوس أولا .

بيتر : حالا (يخرج) .

(فاريوس يدخل)

الدوق : شكرا يا فاريوس على سرعتك ، تعال لنتمشى قليلا .. فإن اصدقاء آخرين سوف يلاقوننا هنا بعد قليل .

(يخرجان)



المشهد السادس

(ايزابيللا وماريانا)

ايزابيللا : كم أكره أن أكلمه بهذه الصورة الملتوية ، بل أود لو قلت الحقيقة ، ثم تتهمينه أنت ، ومع ذلك فقد نصحت أن أفعل ذلك حتى أموه على الغرض الحقيقى كما يقول .

ماريانا : اسمعى كلامه .

ايزابيللا : كما أنه يقول لى أنه لو حدث وقال شيئا ضدى ، الا استغرب فانه دواء مر لغاية حلوة .

ماريانا : كم أود لو أن الراهب بيتر .

ايزابيللا : لا عليك ، فها هو الراهب قد جاء .

(يدخل الراهب بيتر)

بيتر : هيا ، فقد وجدت مكانا مناسبا تقفان فيه ، حيث يتاح لكما ملاقاة الدوق دون أن يتخطاكما .. لقد نفخت الأبواق مرتين ، وقد تقاطر المواطنون الشرفاء نحو البوابة ، وسيدخل الدوق حالا هيا بنا نذهب ..

(يجرون خارجين)



الفصل الخامس

(ميدان عام خارج بوابات المدينة ، جمهرة من المواطنين)
(انجيلو واسكالوس والحكمدار وبعض الضباط مستعدون للقاء الدوق : لوشيو بالقرب منهم ، ايزابيلا وماريانا محجبة ، مع الراهب بيتر فى موقعهم : يقترب الدوق مع فاريوس ونبلاء آخرين)

الدوق : يسعدنى أن القاك يابن العم الكريم ، وأنت أيضا أيها الصديق القديم الأمين ، يسرنى أن أراك

انجيلو واسكالوس : أهلا بعودتك يا صاحب الجلالة .

الدوق : لكلاكما شكرى الجزيل الصادق .. لقد سألنا عنكما فسمعنا عن حسن عدالتكما حتى اننا لانملك إلا استدعاءكما وتوجيه الشكر لكما علنا قبل أى مكافأة أخرى .

انجيلو : إن ذلك ليزيد ديننا نحوكم .

الدوق : إن استحقاقكما ليشهد لكما بأعلى صوت ، وإنى لأظلم هذا الاستحقاق لو أنى أغلقت عليه فى خزائن صدرى ، بينما يستحق أن نحصنه بحروف من نحاس ضد أنياب الزمن ومحو النسيان .. أعطنى يدك حتى ترى الرعية وتعلم أن اللفتات الخارجية تؤكد التقدير الداخلى .. وأنت يا اسكالوس ، تعال لتسير إلى جانبنا من الناحية الأخرى .. دعامتان طيبتان أنتما .

(الراهب بيتر وايزابيلا يتقدمان)

بيتر : حانت اللحظة الآن – ارفعى صوتك واركعى أمامه .

ايزابيلا : العدل يا صاحب السمو ، تكرم بالنظر ، إلى من كان بودها أن تقول فتاة مظلومة ، أيها الأمير المبجل ، لا تخز عيناك بأن تلتفت إلى اى شئ آخر قبل أن تسمع شكايتى الصادقة وقبل أن تمنحنى العدل ، العدل ، العدل ، العدل ...

الدوق : ابسطى شكواك باختصار ، مم وضد من ؟ وها هنا اللورد انجيلو يمنحك العدل الذى تطلبين ، اطرحى ما بنفسك عليه .

ايزابيللا : أواه أيها الدوق المبجل ، إنك تأمرنى أن أطلب الخلاص من الشيطان ، اسمعنى أنت ، فإن مأأقوله إما إن تعاقبنى عليه ، إذا لم تصدقه واما ان ينتزع منك الانصاف ، اسمع شكواى .. اسمعنى ...

انجيلو : مولاى ، اخشى أن يكون عقلها قد اختل ، فلقد قصدتنى من أجل أخيها الذى أعدم وفقا للعدالة .

ايزابيللا : وفقا للعدالة !

انجيلو : ولهذا فسوف تقول كلاما غريبا موتورا .

ايزابيللا : لسوف أقول أغرب الكلام ولكن أصدقه .. أن يكون انجيلو حانث ، أليس هذا غريبا ؟ إنه قاتل أليس غريبا ؟ إنه لص زان ، منافق ، منتهك لحرمات العذارى ، أليس هذا غريبا ؟ وغريبا ؟

الدوق : بلى ، غاية فى الغرابة .

ايزابيللا : ليس أصدق من أن هذا هو انجيلو ، سوى أن ماقلته صحيح وصادق كما هو غريب ، بل إنه غاية الصدق ، لأن الحقيقة هى الحقيقة إلى آخر مدى .

الدوق : خذوها ، مسكينة ، إن عقلها المختل هو الذى يتكلم .

ايزابيللا : أستحلفك ، أيها الأمير ، إن كنت تؤمن بالحياة الاخرى بعد هذه الحياة ، ألا تهمل شكواى ظنا بأن بى مسا من الجنون ، ولا تعتقد أن ما يبدو بعيد الاحتمال ، مستحيل ، أو ليس مستحيلا ان أخبث وغد على وجه الأرض قد يبدو متحفظا جادا ، عادلا ، كاملا مثل أنجيلو . فإن انجيلو ، بكل مظاهر فضيلته ومزاياه وألقابه وأشكاله ، ليس سوى وغد زنيم .. صدقنى ، يا صاحب السمو ، إنه إذا لم يكن كذلك ، فإنه ليس نفسه ، بل إنه أكثر من ذلك لو كانت لدى كلمات أكثر أصف بها شره .

الدوق : الأمانة تقتضى أن أقول أنها لو كانت مجنونة وهذا ما أعتقده ، فإن جنونها يكتسب أغرب ألوان العقل ، فلم أصادف فى حياتى مجنونا أفكاره بهذا الترتيب .

ايزابيللا : ايها الدوق الفاضل ، لاتجعل هذا يشغلك ، ولاتنكر العقل إن كان مضطربا ، بل فليهدك عقلك لاكتشاف الحقيقة حيث تبدو خفية وزيف الزيف إن بدا صادقا .

الدوق : إن كثيرا ممن ليسوا مجانين لهم أكثر افتقارا إلى العقل .. ماذا تقولين ؟

ايزابيللا : إن لى أخا يدعى كلوديو ، حكم عليه بالإعدام بجريمة زنا ، وانجيلو هو الذى حكم عليه ، أما أنا فقد كنت مستجدة فى أحد الأديرة عندما أرسل لى أخى رسولا يدعى لوشيو .

لوشيو : (يتقدم مندفعا) أنا ، هذا هو أنا ، بعد إذن جلالتك ، ذهبت إليها من طرف كلوديو ورجوتها أن تجرب حظها السعيد مع اللورد انجيلو حتى يحصل كلوديو المسكين على العفو .

ايزابيللا : انه هو فعلا .

الدوق : ان أحدا لم يأذن لك بالكلام .

لوشيو : كلا يا سيدى ، كما أن أحدا لم يطلب منى ألا أتكلم .

الدوق : هأنذا أطلبه منك ، وأرجو أن تراعيه ، وعندما يكون لك طلب خاص بك ، ادع الله أن تكون على حق تماما .

لوشيو : أعد جلالتك .

الدوق : فليكن وعدك لنفسك ولتراعه .

ايزابيللا : إن هذا السيد قد حكى طرفا من قصتى .

لوشيو : صح ..

الدوق : قد يكون صح ، ولكنك أنت غلط ، إذ تتكلم قبل الاوان .. استمرى .

ايزابيللا : ثم ذهبت إلى هذا النائب الفاسد الوغد .

الدوق : لقد قيل ذلك بشئ من الجنون .

ايزابيللا : اغفر لى إياه ، فإن العبارة فى لب الموضوع .

الدوق : ها أنت تصلحين كلامك .. استمرى ، فى الموضوع .

ايزابيللا : باختصار ، وحتى نوفر ما لا ضرورة له .. كم توسلت إليه ، واسترحمته وركعت أمامه ، وكم صدنى وكيف أجبت ، فقد استغرق ذلك وقتا ليس بالقصير .. فإنى أصل إلى النتيجة المخزية بخجل وأسى .. لقد رفض الإفراج عن أخى ما لم أمنح جسدى الطاهر لشهوته الشبقة المتأججة ، وبعد أخذ ورد طويلين ، تغلب عطفى الأخوى على شرفى واستسلمت له .. ولكنه فى الصباح الباكر التالى ، وبعد أن أتمم غرضه ، أرسل أمرا بقطع رأس أخى المسكين .

الدوق : محتمل جدا .

ايزابيللا : اه لو رأيت صدقه كما رأيت احتماله .

الدوق : وحق السماء ، أيتها البلهاء ، إنك لاتعرفين شيئا عما تقولين ، أو أنك قد حرضت ضد شرفه فى مؤامرة كريهة .. فأولا ، استقامته لا تشوبها شائبة وثانيا انه من غير المعقول أن يأخذ بهذه الشدة خطايا من النوع الذى يرتكبه هو ، ولو أنه ارتكب مثل هذه الخطيئة لكان قد وزن لأخيك بمثل ماوزن لنفسه ، لا أن يعدمه .. إن احدا قد حرضك ، اعترفى بالحقيقة وقولى من ذا نصحك بالشكوى لنا .

ايزابيللا : أهذا كل مالديك ، الصبر ، إذن ياملائكة السماء المباركة ، ولتفضحى هذا الشر الملثم بالمظاهر ، حين يحين الوقت ، حفظتك السماء من الأسى ، أما أنا ، يامن ظلمت ولم يصدقنى أحد ، فإنى راحلة .

الدوق : أعرف أنك تتوقين إلى الذهاب ، أيها الضابط (يقبض عليها أحد الضباط) خذها إلى السجن .. هل نسمح لمثل هذه الأنفاس اللافحة الشائنة أن تفترى على من هو قريب منا هكذا ، لابد أنها مؤامرة .. من الذى يعرف أنك انتويت الحضور إلى هنا ؟

ايزابيللا : رجل كم كنت أتمنى أن يكون موجودا ؟ الأب لودوفيك ، الراهب .

(بإشارة من الدوق يبتعد الضابط بايزابيللا)

الدوق : ربما كان أبا روحيا (وهميا) .. من منكم يعرف لودوفيك هذا ؟

لوشيو : أنا أعرفه يا مولاى ، إنه راهب متداخل فيما لايعنيه ، ولم يعجبنى ذلك الرجل ، الذى لولا مقامه الدينى يا سيدى ، لضربته ضربا مبرحا لأنه تفوه ببعض الكلمات التى تمس جلالتكم أثناء غيابكم .

الدوق : كلمات تمسنى ، يبدو أنه راهب فاضل ! ثم انه قد حرض هذه المرأة التعسة ضد نائبنا .. أحضروا هذا الراهب .

لوشيو : ليلة أمس فقط يا مولاى ، رأيتها مع ذلك الراهب فى السجن ، إنه يا سيدى راهب وقح ، رجل سافل .

بيتر : (يتقدم) بوركت يا صاحب الجلالة .. لقد كنت واقفا بالقرب منكم يا مولاى ، حين سمعت من الترهات مايؤذى سمع جلالتكم .. إن هذه المرأة بادئ ذى بدء قد اتهمت ظلما ، نائبكم الذى لم

يمسها ولم يقربها ، كما أنها هى أيضا ، لم يمسها أحد .

الدوق : هذا ما اعتقدناه تماما .. هل تعرف ذلك الراهب لودوفيك الذى تحدثت عنه ؟

بيتر : أجل يامولاى ، أعرفه رجلا ورعا ربانيا ، لا سافلا ولا متداخلا فى أمور الدنيا ، كما وصفه هذا السيد ، كما أنه على عهدتى ، رجل لم يتفوه قط بشئ ضد جلالتكم .

لوشيو : صدقنى يامولاى ، بصورة لم ار لسفالتها مثيلا .

بيتر : ليكن ، فقد يأتى ليبرئ نفسه عندما يحين الوقت ، أما الآن ، فإنه يامولاى مريض بحمة غريبة .. وبناء على طلبه ، حين علم أن شكوى ستقدم ضد اللورد انجيلو ، فقد جئت إلى هنا لكى أقول على لسانه مايعرفه ولأجلى الحق من الباطل ، وهو الشئ الذى يفعله بحكم قسمه ويثبته عندما يطلب إليه ذلك .. أما عن هذه المرأة ، وحتى نبرئ ساحة هذا النبيل الفاضل الذى اتهم بهذه الصورة الشائنة الشخصية ، فلسوف تسمعون الآن مايدحضها علنا ، حتى تعترف هى بذلك .

الدوق : فلنسمع ذلك أيها الراهب الطيب ، ألا تبتسم لذلك أيها اللورد انجيلو ، بالله ، وبالغرور البلهاء التعساء .. أحضروا بعض المقاعد – هيا ، يا انجيلو يابن العم ، فلن اشترك فى ذلك ، كن أنت القاضى فى قضيتك .

(الأتباع يحضرون بعض المقاعد : الدوق يجلس ، ماريانا تقف إلى جوار الراهب بيتر)

أهذه هى الشاهدة ، أيها الراهب ؟ فلنر وجهها أولا ولتتكلم بعد ذلك .

ماريانا : اعفنى يا مولاى ، فإنى لا أستطيع أن أكشف عن وجهى حتى يأذن لى زوجى .

الدوق : ماذا ؟ هل أنت متزوجة ؟

ماريانا : كلا يامولاى .

الدوق : هل أنت عذراء ؟

ماريانا : كلا يامولاى .

الدوق : أرملة ، إذن ؟

ماريانا : ولا هذا يامولاى .

الدوق : أنت إذن لست شيئا على الاطلاق ، لاعذراء ولا أرملة ولا زوجة ؟

لوشيو : قد تكون عاهرة يا مولاى ، فكثيرات منهن لسن بعذارى ولا أرامل ولا زوجات .

الدوق : اخرسوا هذا الرجل ، أليس لديه مايدفعه للحديث عن نفسه ؟

لوشيو : طيب يامولاى .

ماريانا : مولاى ، إنى لأعترف أننى لم أتزوج قط ، كما أنى اعترف أننى لست عذراء ، ولقد عرفت زوجى ، ومع ذلك ، فإن زوجى لايعرف أنه قد عرفنى قط .

لوشيو : لقد كان مخمورا ساعتها يامولاى ، لايمكن أن تكون غير ذلك .

الدوق : اذا كان هذا يخرسك فلم لاتفعل ذلك أنت أيضا .

لوشيو : طيب يامولاى .

الدوق : ليست هذه شهادة للورد انجيلو .

ماريانا : والآن ، أصل إلى لب الموضوع يامولاى ..

إن تلك التى تتهمها بالزنا ، تتهم فى نفس الوقت وبنفس التهمة زوجى ، وهى تتهمه بذلك فى ساعة أقسم أنه كان فيها بين ذراعى أنا ، بكل أسباب الحب .

انجيلو : هل تتهم هى شخصا أخر غيرى ؟

ماريانا : هذا مالا أعرفه .

الدوق : كلا ؟ إنك تقولين زوجك ؟

ماريانا : أجل يامولاى ، بالظبط ، أى اللورد انجيلو ؟ الذى يعتقد أنه يعرف أنه لم يعرف جسدى قط ، بل يعتقد أنه يعرف ايزابيللا .

انجيلو : ماهذا الغش الغريب .. ؟ أرينا وجهك .

ماريانا : الآن يأمرنى زوجى ، ولهذا فإنى أسفر عن وجهى (تزيح نقابها) .. هذا أيها القاسى هو الوجه الذى أقسمت مرة أنه يستحق أن تنظر إليه ، هذه يا انجيلو ، هى اليد التى ارتبطت بيدك برباط قدس ، وهذا هو الجسد الذى اختلس اللقاء من ايزابيللا ولاقاك فى منزلك فى الحديقة بزعم أنه جسدها هى .

الدوق : هل تعرف المرأة ؟

لوشيو : جسديا ، كما تقول هى .

الدوق : كفاية ، ياسيد .

لوشيو : خلاص يامولاى .

انجيلو : مولاى ، يجب أن أعترف أننى أعرف هذه المرأة .. منذ خمس سنوات كان بيننا حديث عن الزواج ولكنه انقطع ، وكان أحد الاسباب أنها لم توف صداقا كان المفروض أن توفيه ، ولكن السبب الرئيسى أن سمعتها ساءت بسلوكها السيئ ، ومنذ ذلك الوقت من خمس سنوات لم أتحدث معها أو أرها أو أسمع عنها قط ، وإنى لأقسم على هذا بشرفى وبإيمانى .

ماريانا : (تركع) أيها الأمير النبيل ، وحق النور الذى فى السماء ، وحق الكلمات التى تخرج من بين الشفاه ، بحق ماتعنيه الحقيقة ، وحق الحقيقة فى الفضيلة ، إننى عقيلة هذا الرجل بعقد زواج بأقوى مايمكن للكلمات أن تقسمه ، وأنه يامولاى الطيب ، فى ليلة الثلاثاء الماضية ، فى منزل بالحديقة قد عرفنى كزوجة . فإذا كنت صادقة فيما أقول ، فسوف أقوم من مكانى هذا بكل أمان ، وإلا فليمسخنى الله تمثالا من رخام فى مكانى ، فلا اتحرك .

انجيلو : إننى حتى الآن ، لم أفعل شيئا غير أن أبتسم ، والآن يامولاى ، فلتعطنى سلطة العدالة ، فلقد استفز صبرى ، وإنى لأرجح أن هاتين المسكينتين ليستا سوى ألعوبة فى يد قوة أكبر تحرضهما .. اعطنى الإذن يامولاى والسلطة أن أكتشف هذه المؤامرة .

الدوق : (ينهض) إنى لأفعل ذلك من كل قلبى – عاقبهما بأقصى مايسعد قلبك .. أما أنت أيها الراهب المغفل ، وأنت أيتها المرأة الخبيثة ، المتواطئة مع تلك التى ذهبت ، أفتعتقدون أن ايمانكم ، رغم أنها تكذب كل مقدس تقسمون به ، افتعتقدون أنها شهادات مقبولة ضد قدره واستحقاقه؟ لورد اسكالوس ، اجلس أنت إلى جانب ابن العم ، ولاتدخر مشقتك الطيبة لكى تجلو أمر هذه الترهات ، وأسبابها ، ومن أين جاءت .. وليرسل فى طلب ذلك الراهب الآخر الذى حرضهما .

بيتر : ليته يامولاى ، كان هنا ، فإنه فعلا قد نصح المرأتين بالتقدم بهذه الشكوى ، إن الحكمدار يعرف أين يقيم ويستطيع أن يحضره .

الدوق : اذهب وافعل فورا (الحكمدار يخرج) ..

وأنت يابن العم النبيل ، يامعقد الرجاء ، إنه يهمك أن تسمعماينجلى من هذا الموضوع ،

ولتعاقب هذه الاتهامات الكاذبة بما يحلو لك ، أما أنا فسوف أترككم قليلا ، ولكن لاتبرحوا أماكنكم حتى تقرروا ماترونه فى تلك الاتهامات الباطلة .

اسكالوس : مولاى ، سنقوم بهذا على خير مانستطيع .

(الدوق يخرج ، انجيلو واسكالوس يجلسان)

سنيور لوشيو ، ألم تقل أنك تعرف أن ذلك الراهب لودوفيك ، شخص غير نزيه ؟

لوشيو : ليست المسوح هى مايصنع الراهب ، إن نزاهته ، ياسيدى ، لاتتعدى ملابسه ، وقد قال عن الدوق أقوالا فى غاية السفالة .

اسكالوس : نرجوك أن تبقى هنا حتى يجئ ، ثم تواجهه بما قاله ، يبدو أننا سنجد هذا الراهب شيئا فريدا غريبا .

لوشيو : من أغرب من فى فيينا ، لو تعلمون .

اسكالوس : استدعوا ايزابيللا تلك هنا ثانية ، فإنى لأريد أن أحدثها .. وأرجو أن تسمح لى باستجوابها ، وسترى كيف أتفاهم معها .

لوشيو : لن تكون أفضل منه ، بشهادتها هى .

اسكالوس : ماذا تقول ؟

لوشيو : أوه أقصد ياسيدى ، إنك إذا تفاهمت معها فى جلسة خاصة ، فلسوف يكون اعترافها أسرع ، فربما تخجل أمام الناس .

(تقترب ايزابيللا ، فى حراسة الضابط)

اسكالوس : سوف أرى ما أفعله بها ، فى الخفاء .

لوشيو : هكذا يكون الكلام ، فإن النساء تصبحن خفيفات فى منتصف الليل .

اسكالوس : (لايزابيللا) هه ، أيتها السيدة ، ثمة سيدة تنكر كل ماقلته .

(يقترب الحكمدار ومعه الدوق فى زى الراهب)

لوشيو : انظر يامولاى ، ها هو الوغد الذى كنت أتكلم عنه (مشيرا ناحيته) هاهو ذا مع الحكمدار .

اسكالوس : لقد جاء فى وقته ، لا تحدثه قبل أن نستدعيك .

لوشيو : طيب .

اسكالوس : (للدوق) تعال ياسيد هنا ، هل حرضت هاتين المرأتين على اتهام اللورد انجيلو بالباطل ؟ لقد اعترفتا بذلك .

الدوق : هذا غير صحيح .

اسكالوس : كيف ، أتعرف أين أنت ؟

الدوق : احتراماتى للمقام الرفيع ، وليحرم الشيطان من أجل عرشه الملتهب .. أين الدوق ؟ هو الذى ينبغى أن يسمعنى .

اسكالوس : نحن مفوضون من قبل الدوق ، ولسوف نسمعك . وأنصحك أن تتكلم بالحق .

الدوق : بصراحة ، على الأقل .. ولكن ، أواه أيتها الأرواح المسكينة ! هل جئت تطلبين الحمل من الثعلب ؟ قولى للانصاف ، إذن ، طابت ليلتك .. هل ذهب الدوق ؟ اذن فقد ذهبت قضيتك أيضا .. كم هو ظالم هذا الدوق حتى يرد على طلبك الواضح ، بأن يجعل الحكم على قضيتك فى يد الوغد الذى جئت تتهمينه .

اسكالوس : انتظر ، أيها الراهب غير المبجل ، غير المقدس ، ألم يكف أنك قد حرضت هاتين المرأتين على اتهام هذا الرجل الفاضل ، بل تزيد بأن تسميه ، بلسانك القذر ، وعلى مسمع من أذنيه الموقرتين ، وغدا ؟ ثم تنقل بصرك من عليه إلى الدوق نفسه متهما إياه بالظلم ؟ خذوه من هنا ، اذهبوا به إلى غرفة التعذيب ، لسوف نمزقك اربا اربا ، ولكننا سنعرف غرضك أولا .. تقول ظالم !

الدوق : لاتتحمس هكذا ، إن الدوق لايجرؤ على شد اصبعى هذا بقدر ما لايجرؤ على شد اصبعه هو ، فلست من رعاياه ، كما أننى لا أنتمى لكنيسة هذه البلاد .. لقد جعلت منى مهمتى فى هذه المدينة متفرجا هنا فى فيينا ، حيث رأيت كيف يستشرى الفساد وينخر حتى تتهاوى الحياة ، قوانين لكل الخطايا لديكم ، ولكن الخطايا تكتسى ثوبا يجعل مواد القانون تبدو كمثل الانذرات المعلقة عند الحلاق ، تثير السخرية أكثر مما ترهب .

اسكالوس : وتسب الدولة ؟ ألقوا به فى السجن .

انجيلو : سنيور لوشيو ، ماذا يمكن أن تشهد به ضده ؟ هل هذا هو الرجل الذى كنت تتحدث عنه ؟

لوشيو : إنه هو يامولاى .. تعال هنا يا أصلع الرأس ، هل تعرفنى ؟

الدوق : إنى أذكرك ياسيدى ، بنبرات صوتك . لقد قابلتك فى السجن ، أثناء غياب الدوق .

لوشيو : هل فعلت ؟ وهل تذكر ماقلته لى عن الدوق ؟

الدوق : بكل وضوح ياسيدى .

لوشيو : هكذا ، ياسيدى ؟ وهل كان الدوق قوادا ، مغفلا وجبانا ، كما وصفته حينئذ ؟

الدوق : إنك ياسيدى ، قبل أن تقول ان هذا هو كلامى ، لابد أن تبادلنى شخصك ، لقد كنت أنت من قال ذلك ، وأكثر وأسوأ .

لوشيو : خسئت ! ألم أشد أنفك لما قلته ؟

الدوق : إننى أحتج ، فأنا أحب الدوق كما أحب نفسى .

انجيلو : اسمعوا كيف يتملص هذا الوغد ، بعد سبابه الخائن .

اسكالوس : إن مثل هذا الشخص لايحادث اطلاقا ، خذوه إلى السجن .. وأغلق عليه جيدا ، ولا تسمح له بالكلام اطلاقا .. خذ كذلك هاتين الداعرتين ، وضعهما حيث تضع زميلهما المتآمر .

(الحكمدار يهم بالقبض على الدوق)

الدوق : انتظر ياسيدى ، انتظر لحظة .

انجيلو : ماذا ، أيقاوم ؟ ساعده يا لوشيو .

لوشيو : تعال ياسيد ، تعال ، تعال يا وغد يا أصلع الرأس يا كذوب هل هذا الطرطور ضرورى ألابد منه .. (يمسك بغطاء رأس الدوق) أرنا وجهك أيها الوغد ، جاءتك مصيبة .. أرنا وجهك يالص الخراف .. ولتشنق الساعة .. ألن تخلعه ؟

(يجذب غطاء رأس الراهب ، ويكشف عن وجه الدوق ، اسكالوس يهب واقفا فى فزع ، انجيلو يظل جالسا وقد بهت) .

الدوق : أنت اول وغد يصنع دوقا .. أيها الحكمدار ، أنا أضمن هؤلاء الثلاثة (إلى لوشيو) لاتحاول الزوغان ياسيد ، فمازال بينك وبين الراهب كلام ، اقبضوا عليه (يقبض على لوشيو) .

لوشيو : قد نتج عن هذا ماهو أسوأ من الشنق .

الدوق : (لاسكالوس) لقد صفحنا عما قلته ، اجلس وسوف نستعير مقعده ، بعد إذنك ياسيدى .
(يجلس فى مقعد انجيلو) ألا زال لديك من الكلام والحكمة أو الصفاقة مايمكن أن ينفعك ؟
اذا كان لديك شيئا من هذا ، أبقه لنفسك حتى أنتهى من حكايتى ، وعندئذ قل كل ماعندك .

انجيلو : أواه يامولاى المهيب ، ان اجرامى ليفوق جريمتى لو تصورت أننى أفلت بعد أن أدرك أن جلالتكم ، كقوة الإله ، قد شاهدتم أفعالى .. ولذلك ، أيها الأمير الفاضل ، لاداعى للتحقيق فى عارى ، بل لتكن محاكمتى هى اعترافى ، حكم فورى واعدام يتلوه مباشرة ، هو كل ما ارجوه من فضل .

الدوق : تعالى هنا ، يا ماريانا . قل ، هل حدث أن عقدت على هذه السيدة ؟

انجيلو : حدث يامولاى .

الدوق : خذها من هنا وتزوجها فورا ، ولتقم أنت أيها الراهب بإجراء المراسيم ، وبعد أن تتم ، أعده إلى هنا .. اذهب معه أيها الحكمدار .

(انجيلو وماريانا والراهب بيتر والحكمدار يخرجون)

اسكالوس : إن جريمته لتدهشنى يامولاى أكثر مما تدهشنى غرابتها .

الدوق : تعالى هنا يا ايزابيللا ، فقد عاد الراهب دوقا ، وكما كنت عندئذ ناصحا مخلصا لك فى قضيتك فإننى لم أغير قلبى حين غيرت ردائى ومازلت فى خدمتك .

ايزابيللا : اغفر لى ، إننى تابعتك ، قد جشمت جلالتكم ، دون أن أدرى كل هذا العناء .

الدوق : لقد غفرنا لك يا ايزابيللا ، والآن يافتاتنا العزيزة ، أظهرى ما أظهرناه من كرم .. إن موت أخيك ، كما أعلم ، يجثم على قلبك . وقد تعجبين لماذا أخفيت نفسى فى محاولة انقاذ حياته ولم اتهور بالكشف عن قوتى الخبيئة حتى لايفقدها .. أواه أيتها العطوف ، لقد كانت السرعة التى تم بها موته ، الذى تصورته بطئ الخطا هى ما أصاب خطتى فى الصميم ، ولكن ، فليرحمه الله ، فإن تلك الحياة أفضل من هذه ، لايعتريها الخوف من الموت ، كما يعترى أولئك الذين يعيشون لكى يخافوا ، فليكن عزاؤك أن أخاك سعيد .

ايزابيللا : إنه لكذلك ، يامولاى .

(انجيلو وماريانا والراهب بيتر والحكمدار يعودون)

الدوق : أما هذا العريس الذى يقترب والذى ظلم خياله الشبق ، شرفك المصون ، فاصفحى عنه من أجل ماريانا ، ولكن لما كان قد حكم على أخيك ، ولما كان قد اقترف جريمتين هما انتهاك الشرف المقدس والحنث بالوعد ، الذى كانت تتوقف عليه حياة أخيك ، فإن رحمة العدالة نفسها تصرخ بأعلى صوتها وبلسانه لتقول " انجيلو بكلوديو ، موت بموت وعجلة بعجلة وبطء ببطء ، وشبيه بشبيه ودقة بدقة " حيث أن خطيئتك قد ثبتت يا انجيلو ، وحيث أن أفكارك لن تجدى لو حاولت .. فإننا نحكم عليك بالإعدام فى نفس المكان الذى سلم فيه كلوديو رأسه للجلاد ، وبنفس السرعة ، خذوه .

ماريانا : ويلاه يامولاى الكريم ، أرجو ألا تكون قد ضحكت على بزوج وهمى ؟

الدوق : بل إن زوجك هو الذى ضحك عليك بزوج وهمى .. إننى ، حرصا على شرفك وجدت من الواجب تزويجكما ، والا وصمتك معرفته إياك ، ودنست حياتك وقضت على ماقد رأيتك من خير فى المستقبل ، أما عن ممتلكاته ، فرغم أنها من حقنا لأنها قد صودرت ، فإننا نهبك إياها بعد موته ، حتى تشترى لنفسك زوجا أفضل .

ماريانا : أواه يا مولانا العزيز ، اننى لا أطلب غيره ولا أريد رجلا أفضل .

الدوق : لاتطلبيه إطلاقا ، فقد استقر رأينا .

ماريانا : مولاى الرقيق (تركع) .

الدوق : إنك تضيعين جهدك .. خذوه وأعدموه (إلى لوشيو) والآن ياسيد ، تعال .

ماريانا : أواه يامولاى الطيب ، يا ايزابيلا الحلوة خذى مكانى ، أعيرينى ركبتيك وكل حياتى للمجئ ، وسوف أضع حياتى كلها فى خدمتك .

الدوق : ان ماتطلبين هو ما لفوق جمال عقلها وشعورها ، إنها لو ركعت فى رحمة هذه الحقيقة ، لكسر شبح أخيها سريره المسوى ، ولانتزعوا من هذا الرعب .

ماريانا : ايزابيلا ، ايزابيلا أيتها الحلوة ، لا أطلب منك أكثر من أن تركعى إلى جانبى ، وأن تضعى يديك إلى قلبك ولاتقولى شيئا بل سوف اتكلم أنا .. يقولون إن أفضل الرجال من تشكلهم الأخطاء ، إن الرجال لصبحون أفضل ، إذا كانت لديهم بعض النقائص ، وربما كان زوجى هكذا ، أواه يا ايزابيلا ، ألن تعيرينى ركبتيك ؟

الدوق : إنه يموت لموت كلوديو .

ايزابيللا : (تركع) مولاى الكريم ، انظر إلى هذا الرجل ، اذا سمحت جلالتكم ، كما لو كان أخى حيا ، فإننى أميل إلى الظن أنه كان مدفوعا بإخلاصه ، إلى أن رآنى ، فإذا كان الأمر كذلك . فلتصفح عنه ، فإن أخى قد نال حكما عادلا لأنه مات عقابا على فعلة اقترفها ، أما انجيلو ، فإن فعله لم يلحق بنيته الخبيثة ، التى نسقطها كمجرد نية هلكت فى الطريق إلى التنفيذ .. فليست الأفكار أفعالا ، وما النيات سوى أفكار .

ماريانا : يامولاى .

الدوق : إن التماسك لايجدى شيئا ، ففى ، كما اقول لك .. فقد تذكرت إثما آخر اقترفه .. أيها الحكمدار كيف حدث أن كلوديو قد أعدم فى وقت غير مألوف ؟

الحكمدار : لقد أمرت بهذا يامولاى .

الدوق : هل وصلك أمر خاص بذلك ؟

الحكمدار : كلا يامولاى ، لقد كان هذا فى رسالة شخصية !

الدوق : ولهذا فإنى أعفيك من منصبك ، سلم مفاتيحك .

الحكمدار : اصفح عنى يامولاى النبيل ، لقد اعتقدت أنه خطأ ولكنى لم أكن أعرف ، وقد ندمت على مافعلت ، عندما عاودت التفكير ، ودليلا على ذلك ، فإنى قد أبقيت حياة رجل فى السجن كان ينبغى أن يموت بناء على أمر شخصى .

الدوق : ومن هو ؟

الحكمدار : بارناردين ، يامولاى .

الدوق : ليتك فعلت نفس الشئ مع كلوديو .. اذهب واحضره هنا ، دعنى أره .

(الحكمدار يخرج)

اسكالوس : يحزننى أن شخصا مثقفا عاقلا مثلما تبدو أيها اللورد انجيلو ، يسقط بهذه الفظاعة ، سواء فى ثورة الدماء ، أو فى الافتقار إلى الحكم المتزن بعد ذلك .

انجيلو : إن ما يحزننى هو أننى قد سببت هذا الحزن ، وأن الحزن لتجثم اثقاله على قلبى النادم ، حتى انى لأفضل الموت على الرأفة ، فهو ما أستحقه ، وإنى لأرجوه .

(يعود الحكمدار ومعه بارناردين ، وكلوديو ملثما وجولييت)

الدوق : أيهما بارناردين ؟

الحكمدار : هذا يامولاى .

الدوق : لقد حكى لى أحد الرهبان عن هذا الرجل ، يقال ان قلبك عنيد لايعى ماهو أبعد من هذا العالم ، وأنك تكيف حياتك تبعا لذلك .. لقد حكم عليك بالموت – أما عن تلك الخطايا الدنيوية فإنى اغفرك إياها وأسألك أن تقبل هذه الرحمة حتى تستعد للحياة الافضل التى تتبع هذه .. أيها الراهب ، عظه ، فإننى اتركه بين يديك .. من هذا الشخص الملثم ؟

الحكمدار : إنه سجين آخر أنقذته يامولاى ، كان ينبغى أن يموت حين فقد كلوديو رأسه ، وهو يشبه كلوديو كما يشبه كلوديو نفسه (يميط اللثام عن كلوديو) .

الدوق : (لايزابيللا) اذا كان يشبه اخاك ، من أجله نعفو عنه – ومن أجل جمالك ، إذا اعطيتنى يدك وقلت انك لى ، فإنه يصبح أخى أيضا ، ولكن لنرجئ هذا حتى يحين وقته .. بهذا يدرك اللورد انجيلو أنه قد نجا ، فإنى ألمح بريقا فى عينيه ، لابأس يا انجيلو ، فهى جديرة بك .. يبدو اننى فى حالة صفح عامة . ومع ذلك ، فإن هنا شخصا لا يمكن أن أسامحه (إلى لوشيو) أنت ياسيد ، كنت تعرفنى مغفلا جبانا شهوانيا ، حمارا ، مجنونا ؟ .. ماذا فعلت حتى أستحق هذا التكريم منك ؟

لوشيو : الحق يامولاى ، إننى لم أقل هذا إلا تمشيا مع مقتضيات الموضة العصرية فإذا كنت تريد شنقى ، فليكن ، ولو أننى أفضل بعد إذن جلالتك ، أن أجلد .

الدوق : تجلد ياسيد ثم تشنق بعدها ، أعلن هذا فى أرجاء المدينة أيها الحكمدار ، اذا كانت هناك امرأة اساء اليها هذا الداعر – وقد سمعته يقسم أن المرأة قد حملت منه سفاحا ، فلتظهر نفسها ، ولسوف يتزوجها ، وبعد أن يتم الزفاف اجلدوه ثم اشنقوه .

لوشيو : أتوسل إلى جلالتكم ، لاتزوجنى عاهرة .. لقد قلت جلالتكم منذ لحظات اننى قد صنعت منك دوقا ، فلا تكافئنى يامولاى بأن تصنع لى قرنين .

الدوق : أقسم بشرفى أنك ستتزوجها ، إننى أغفر لك تقولاتك بالباطل ، وبهذا أعفيك من كل العقوبات الاخرى .. خذه إلى السجن ونفذ مشيئتنا .

لوشيو : إن الزواج من عاهرة يامولاى لهو تعذيب حتى الموت وجلد وشنق .

الدوق : التشهير بأمير يستحق كل ذلك .. كلوديو ، فلتعد إلى تلك التى أسأت إليها ، وأنت يا ماريانا ، فلتنعمى بالسعادة ، انجيلو ، احبها ، فقد اعترفت على يدى وأعرف كم هى فاضلة .. شكرا أيها الصديق الطيب اسكالوس .. وستلقى فضائلك العديدة جزاء سخيا .. أشكرك أيها الحكمدار لحرصك وتكتمك ولسوف تعين فى منصب أفضل .. وأنت يا أنجيلو ، سامحه لأنه أحضر لك رأس راجوزين بدلا من رأس كلوديو ، فالاساءة قد كافأت نفسها .. أما أنت يا عزيزتى ايزابيللا ، ففى نيتى خير كثير من أجلك ، فإذا راقت لك نيتى ، فإن مالى لك ومالك لى .. ولنذهب إلى قصرنا حيث ننجز ماتبقى ، وهو شئ سوف يسركم أن تعرفوه .

(يمرون من البوابات)



اعداد وكتابة وتنسيق : Night walker
E-Mail : mo_romance@hotmail.com

تم إنتاج هذا العمل حصريا لصالح منتديات أنا مصرى

لزيارة الموقع
www.anamasry.com

لزيارة المنتديات
www.anamasry.com/board

أرجو أن تستمتعوا بالعمل وأن ينال رضاكم
لا تنسونا من صالح دعائكم